

دراسات في مقارنة الأديان (٢)

الخَلاص خارج الكنيسة الكاثوليكية

دراسة تحليلية نقدية

د. عايض بن سعد الدوسري

دراسات في مقارنة الأديان (٢)

الخَلاص خَارِجَ الكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّة


بسم الله الرحمن الرحيم

الخَلاص خَارِجَ الكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّة

دراسة تحليليَّة نقديَّة

عايض بن سعد الدوسري

الخَلاص خَارِجَ الكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّة

دراسة تحليليَّة نقديَّة

عايض بن سعد الدوسري

الطبعة الأولىٰ

١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن نظر المركز»



Business Center 2 Queen
Caroline Street, Hammersmith
London W6 9Dx, UK

www.Takween-center.com
info@Takween-center.com

الموزع المعتمد

+966555744843

المملكة العربية السعودية – الدامام

+201007575511

مصر – القاهرة

مؤسسة دراسات تكوين
للنشر والتوزيع
س ٠ ت ، ٢٠٥٠١١٧١٢٠
جوال ، ٠٥٥٥٧٤٤٨٤٣





المحتويات

الموضوع	الصفحة
مدخل	٧
المطلب الأول: مفهوم الخَلاص وأَهَمِّيته	١٧
المطلب الثاني: الخَلاص عَبْرَ تاريخِ الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ	٢٣
المطلب الثالث: إرهاصاتُ التَّحَوُّل في موقف الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ	٣٥
المطلب الرابع: الكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ من الماضي إلىٰ (المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني)	٤٣
المطلب الخامس: فَحْصُ موقف (المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني) من الخَلاص	٤٧
المطلب السادس: شروط الحصول علىٰ الخَلاص حَسْبَ (المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني)	٦٩
المطلب السابع: ما الجديد إذن الذي قَدَّمَه (المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني)؟	٧٧

الموضوع	الصفحة
المطلب الثامن: تقييم موقف الكنيسة الكاثوليكيَّة واللاهوتيين الكاثوليك من الخَلاص	١١٣
الخاتمة	**١٢٥**
المصادر والمراجع	**١٢٩**

مَدْخَلٌ

عُرِفَتْ الكنيسة الكاثوليكيَّة[1] عَبْرَ تاريخها الطويل بموقفها

---

(١) كلمة **الكنيسة** مشتقة من اليونانيَّة، وتعني (بيت الرب) إشارة إلىٰ مبنىٰ مقدس في المسيحيَّة، وكذلك تعنىٰ التَّجمع، أي مجتمع المؤمنين أو تنظيم المؤمنين، وأصبحت لاحقًا حَصْرًا تعني المسيحيَّة بعد أن كانت تعني ديانات أخرىٰ. أما كلمة **الكاثوليكية** فهي كذلك مشتقة من اليونانيَّة، وتعني (عام أو عالمي)، وقد وجدت لأول مرة في التراث المسيحي للقديس **أغناطيوس الأنطاكي** Ignatius of Antioch في مطلع القرن الثاني المسيحي. وأصبحت لاحقًا تعني عدة أمورٍ، منها: الكنيسة الجامعة باعتبارها مختلفة عن المجتمعات المسيحية المحلية، والإيمان القويم الذي يمتاز عن الفرق المنشقة والهرطقات. وهي تُطلق علىٰ كنيسة روما، التي تدعي أنها تمتلك تقليدًا تاريخيًا ومستمرًا من الإيمان والممارسة استمر لمدة ألفي سنة وينتهي برسل وتلامذة **المسيح** وعلىٰ رأسهم **بطرس**. وتؤكد الكنيسة الكاثوليكية علىٰ تقليد آباء الكنيسة إلىٰ جانب الكتاب المقدس، بالإضافة إلىٰ دور رجال الدين المنفصل عن العلمانيين، وترىٰ أنَّها المسيحيَّة المركزية مُمَثَّلًا ذلك في البابويَّة، وغالبًا ما تستخدم اسم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ويحكم **الفاتيكان** الكنيسة الكاثوليكية، وهو دولة=

المُتَشَدِّد المُتَصَلِّب تجاه المخالفين لها، وتَجَلَّىٰ ذلك نظريًّا في عقائدها المُقَرَّرَة وعمليًّا في ممارساتها المُطَبَّقَة. ومن تلك العقائد التي حَكَمَت علاقتها بالمذاهب والأديان الأخرىٰ، مسألة **(الخَلاص خارج المسيح)** و**(الخَلاص خارج الكنيسة)**، تلك المسألة العقائديَّة التي ظَلَّت نصوص آباء الكنيسة والتُّراثُ الكاثوليكيُّ التقليديُّ يُكَرِّسها ويُعَمِّقها ويُنافح عنها، ويردُّ ويدحض من يُخالفها. وأصبحت هذه العقيدة المتعلقة بالخَلاص، القائمة علىٰ أصول الإيمان الرئيسة وأسرار الديانة المِحْوَرِيَّة، خلال قرونٍ طويلةٍ تُحَدِّدُ موقف **الكنيسة الكاثوليكيَّة** تجاه المخالفين للعقيدة المسيحيَّة من خارجها، أو المخالفين لها علىٰ وجه التحديد من داخل المسيحيَّة، وهكذا فقد طَبَعَ هذا الموقف بالتَّشَدُّدِ جميع مُعاملات وعلاقات **الكنيسة الكاثوليكيَّة** مع المخالفين من المذاهب الأخرىٰ ومن بقية الأديان، نظريًّا وعمليًّا. وقد استمر هذا الموقف الصَّارم المُتَعَلِّقِ بالخَلاص واستحقاقه وحدوده،

= كنسيَّة مقرها في روما ذات سيادة سياسية مستقلة، ولها عملتها الخاصة، يحكمها البابا الذي له السيادة الروحية والعلمانية للكنيسة الكاثوليكية، وهو المفوض في العقيدة والرسامة والقيادة والعقوبة، يُسمىٰ: أُسْقُف روما، نائب يسوع المسيح، خليفة أمير الرسل بطرس، الحبر الأعظم للكنيسة الجامعة، بطريرك الغرب، زعيم إيطاليا، رئيس أساقفة ومطارنة المقاطعة الرومانية للكنيسة، ملك دولة مدينة الفاتيكان. انظر:

F. L. Cross, E. A. Livingstone, The Oxford Dictionary of the Christian Church, p. 305-306, Kocku von Stuckrad, The Brill Dictionary of Religion, p. 266, 408 & 1425.

مُعظم تاريخ **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، وإن كان قد تخلل ذلك بعض الاجتهادات التفسيريَّة الفرديَّة، ولم يطرأ علىٰ هذا الموقف تَغَيُّرٌ وُصِفَ -من قِبَلِ مراقبين كثيرين- بأنَّه جوهريٌّ وتحولٌ تاريخيٌّ إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك من خلال دساتير وقرارات وبيانات (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)(١)، الذي استقبل

---

(١) بدأ المَجْمَعُ في السابع عشر من أيَّار سنة ١٩٥٩م، حين عَيَّنَ البابا يوحنَّا الثالث والعشرين لجنة إعداديَّة برئاسة أمين سر الفاتيكان لتنسيق الاتصالات بمؤسسات ورجال الدين الكاثوليك حول العالم. وفي الخامس من حزيران سنة ١٩٦٠م تم تشكيل (١٥) لجنة وأمانة سرٍّ للإشراف علىٰ سير أعمال المَجْمَعِ، وكان عدد المشاركين حوالي (٣٠٠٠) أُسْقُفًا. وقد مر المَجْمَعُ بأربعِ دوراتٍ، وهي، الدورة الأولىٰ: كانت ما بين ١١ تشرين الأول و٨ كانون الأول سنة ١٩٦٢م، بمثابة مقدمة تمهيديَّة. الدورة الثانية: كانت ما بين ٢٩ أيلول و٤ كانون الأول سنة ١٩٦٣م، وقد توفي قبل بدايتها بأربعة أشهر البابا يوحنَّا الثالث والعشرين في الثالث من حزيران سنة ١٩٦٣م، فخَلَفَهُ البابا بولس السادس في ٢١ حزيران سنة ١٩٦٣م، وقد كُرِّسَ المَجْمَعُ لتحقيق أربعةِ أهدافٍ، وهي: مواجهة أزمة الكنيسة الداخليَّة، وتجديد رسالة الكنيسة، وتمكين الوحدة المسيحيَّة، وتجديد علاقات الكنيسة بالأديان في العالم، الدورة الثالثة: كانت ما بين ١٤ أيلول و٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤م، وعَمِلَت علىٰ ستة عشر مشروعًا (موزعة إلىٰ: أربعة دساتير، وتسعة قرارات، وثلاثة بيانات). الدورة الرابعة: كانت ما بين ١٤ أيلول و٨ كانون الأول سنة ١٩٦٥م، وفي نهايتها اختتم (المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني) أعماله باحتفاليَّةٍ كبيرةٍ، وَصَدَرَتْ الوثائق تدور حول شؤون الكنيسة ورسالتها، وعلاقتها بغيرها من المذاهب المسيحيَّة غير الكاثوليكيَّة، ومن الأديان المختلفة ومنها الإسلام. وكان من أهم أعمال المَجْمَع الإعلان الشهير الصادر في عام ١٩٦٥م، الذي يحمل عنوان (**علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحيَّة**)، وهو يُعْتَبَرُ لُبَّ ما =

استقبالًا إيجابيًّا واسعًا من شرائح مُخْتَلِفَة من المذاهب والأديان، واعتبروه علامةً فارقةً ومرحلةً فاصلةً في تاريخ علاقة **الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكيَّة** بالآخر المختلف عنها عقديًّا. وقد أشارت العديد من الدراسات الغربيَّة إلىٰ أنَّ هذا التَّحَوُّلَ الكبير الذي انعطَفَت به **الكنيسة الكاثوليكيَّة** في اتجاهٍ آخر بعيدًا عن ماضيها السابق، خصوصًا في موضوع علاقتها بالأديان الأخرىٰ وموقفها تجاه مسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**)، كان نِتَاج عدة عوامل داخليَّة وخارجيَّة؛ ومنها: عاملٌ داخليٌّ تَمَثَّلَ في الأزمة العميقة في الإيمان التي حَدَثَت بعد اكتشافات الأوروبيين لعوالم جديدة بالنسبة إليها، حوت أُمَمًا وشعوبًا بعيدةً تمامًا عن المسيحيَّة، ولم يسبق لها قَطُّ أن عَرَفَت **بالمسيح** أو رسالة الإنجيل، وبهذا تفاجأ الأوروبيون بعدم مركزيَّة الخَلاصِ والفداءِ والإيمانِ المسيحيِّ بالنسبة إلىٰ معظم البشريَّة، مما أثار أسئلة إيمانيَّة حرجة تستدعي جوابًا مُقنِعًا وردة فعلٍ. أما العوامل الخارجيَّة، فَتَمَثَّلَ أحدها -وخصوصًا في العصور الحديثة- في النظرة النَّقْدِيَّة لأتباع الأديان

= تَمَخَّض عن المَجْمَع فيما يتعلق بِمَسْأَلةِ (حِوارِ الأديان)، حيث دعا المَجْمَع فيه المسيحيين إلىٰ تجديد موقفهم من غير المسيحيين من الأديان الأخرىٰ. انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١١-٢٠، جانفرِانكو رافازي وآخرون، درب الحوار، ص: ٨، دعاء محمود فينو، الحوار المسيحي الإسلامي قراءة في كتاب: التصورات اللاهوتية المسيحية عن المسلمين منذ مجلس الفاتيكان الثاني، ص: ١٥٥. وانظر:

Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. vi.

والمذاهب الأخرىٰ إلىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** وموقفها من المخالفين ومن مسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**)، والذي هَدَّدَ بعلاقات مُتَوتِّرة معها، في وقتٍ كانت الكنيسة تسعىٰ بكلِ جُهْدِها إلىٰ بناء علاقات إيجابية مع الآخرين، وإقامة أجواء مُناسِبَة تُمَهِّدُ إلىٰ الحِوار معهم، وكسب مودتهم واحترامهم. هكذا، كان علىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أن تُعِيدَ النَّظرَ والتَّأملَ في موقفها مع الآخر، وموقفها من مسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**)، وهذا ما قيل إنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** بالفعل قامت به في (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**).

وقد اختلفت وتفاوتت آراء رجال الدِّين واللاهوتيين الكاثوليك حول دور (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) تجاه مسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**). فَهناك فَرِيقٌ من العلماء واللاهوتيين الكاثوليك -مع إقرارهم بأنَّه لأوَّلِ مرةٍ في تاريخ المَجَامِع المُعْتَرَف بها من قبل **المسيحيَّة الكاثوليكيَّة**، استطاع (**المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني**) تطوير بعض التعاليم حول الديانات الأخرىٰ، وَفَتَحَ أرضيَّةً جديدةً معهم، وتَمَنَّوا عدم تكرار **المَجْمَع** بشكلٍ تقليديٍّ الشعارَ القديم (**خارج الكنيسة لا خلاص**)- إلا أنَّهم أيضًا يرونَ أنَّ **المَجْمَعَ** لم يطرح مسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**) بشكلٍ واضحٍ، ولم يُقَدِّم إجابة صريحة عنها. يقول العَالِم واللاهوتي الكاثوليكي اليسوعي القس **جيرالد جلين أوكولينز** Gerald Glynn O'Collins: «لم يطرح **المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني** بشكلٍ صريحٍ هذا

السؤال، ولم يجب عنه: هل يجب اعتبار الأديان الأخرىٰ طرقًا للخَلاص (والوحي)؟»[١]. وهناك من يرىٰ أنّه لا يوجد تغييرٌ حقيقيٌّ في الموقف الكَنَسِيِّ، بصرف النظر عن موقفه هو من مسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**)، فمثلًا: بعض الباحثين، مثل **روجر تشارلز** Roger Charles، الباحث المتخصص في الدراسات المسيحيَّة والكاثوليكيَّة، يرىٰ أنَّ **الكنيسة الكَاثُولِيكِيَّة** في «**موقفها الجديد**» المُتَعَلِّقِ بمسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**)، الذي قَرَّرَتْهُ وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**)، لا يُعَدُّ موقفًا مُعَارِضًا للتقاليد الكَنَسِيَّة التاريخيَّة، ويعتقد أنَّ التعاليم البابويَّة منذ ذلك **المَجْمَعِ** لم تناقض نفسها، بل تسير في الحقيقة في اطرادٍ[٢]. ولعلَّ البابا **بندكت السادس عشر** Benedict XVI، يتوافق مع هذا الرأي إلىٰ حَدٍّ كبيرٍ؛ حيث لم يَرَ موقفًا جديدًا حقيقيًّا طال أصول ومبادئ الكنيسة الأساسية، وفي هذا يقول: «**المجمع الفاتيكاني الثاني** . . . حافظ وعَمَّقَ طبيعة [إيمان الكنيسة] الداخلي وهويتها الحقيقية. فالكنيسة، قبل **المجمع** كما بعده، هي الكنيسة نفسها، واحدة ومقدسة وجامعة ورسوليَّة، في رحلة عبر الزمن»[٣]. وفي

(١) See: Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. vii, 1 & 194.

(٢) See: See: Michael Joseph Schuck, That They Be One: The Social Teaching of the Papal Encyclicals, 1740-1989, P. 176.

(٣) Michael Lacey and Francis Oakley, The Crisis of Authority in Catholic Modernity, p. 102..

مُقابلِ هؤلاء، جاء الذين يرون أنَّه بالفعل حَدَثَ تَغَيُّرٌ جَذْرِيٌّ في موقف **الكنيسة الكَاثُولِيكِيَّة**، في (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) تجاه مسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**)، وقد انقسموا إلىٰ فريقين، ما بين رافضٍ لموقف **المَجْمَعِ** وفريقٍ مؤيدٍ له. فمثلًا: الباحث الكاثوليكي **بيتر ديمون** Peter Dimond، يرىٰ أنَّ مُخْرَجَات (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، فيما يتعلق بمسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**) تُعَدُّ في الحقيقةِ انحرافًا عن تقاليدها العريقة والراسخة، ولذا فهي هرطقة، ويُشير إلىٰ أنَّ ذلك قد نَتَجَ عنه كارثةٌ حقيقيَّةٌ، بحيث صار كل شخص من أنصار الموقف الجديد **للمَجْمَعِ** يقتبس من التراثِ الكَنَسيِّ لآباء الكنيسة ما «يرغب في تعزيزِ إيمانه الهرْطَقِي بأنَّه يمكن خَلاص المرء خارج **الكنيسة الكاثوليكيَّة**»، وأنَّ ما انتهىٰ إليه **المَجْمَعُ** لا يُمثل الإيمان الكاثوليكيَّ الحقيقيَّ، وليس إلا نتيجة لما سبقه من «انتشار البدعة والحداثة والردة» في العَالَم، وهكذا أراد الشَّيطَانُ بمثل هذه الاعتقاد أن يُدَمِّرَ الإيمان أثناء هذا **المَجْمَعِ**، الذي هو في الحقيقة مَجْمَعُ الرِّدَّة[1]. وعلىٰ النَّقِيضِ من هؤلاء، جاء كثيرٌ من العلماء واللاهوتيين مؤيِّدين لهذا الموقف الجديد من قِبَلِ **الكنيسة الكَاثُولِيكِيَّة**، ومن هؤلاء مثلًا: الأب **فرانسيس سوليفان اليسوعي** Francis Sullivan، العَالِمُ واللاهوتيُّ الكاثوليكيُّ الأمريكيُّ، الذي يرىٰ أنَّ موقف التقليد

(١) See: Peter Dimond, Outside the Catholic Church There Is Absolutely No Salvation, p. 109,132, 185, 232, 260 & 265.

الكاثوليكي من مسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**)، والذي امْتَدَّ لأمدٍ طويلٍ، قد خضع أخيرًا في (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) إلىٰ تغييرٍ إيجابيٍّ عميقٍ يجب الاعتراف به[١]. بل إنَّ بعضهم يُبَالِغ في تقدير وإطراء دور (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) في هذه القضيَّة، وهو توجهٌ واضحٌ لدىٰ كثيرٍ من رجال الدِّين المسيحيين، وخصوصًا الكاثوليك، من أمثال الأب **هانس كونج**، والأب **جوزيف كميل جبارة**، حيث تَمَّ تَحْمِيلُ مُقَرَّرَاتِ (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) معانيَ زائدةً غير مَنطوقٍ بها في وثائق **المَجْمَعِ** حول مفهوم شُمُوليَّة الخَلاص، وقد تكون تلك المُبَالغة قد صَدَرَت عن بعضهم في سياق التفكير الرَّغَبيِّ، مثل الأب **جوزيف كميل جبارة**، الذي اعتبر أنَّ ما قَدَّمه **المَجْمَعُ** بشأن مسألة (**الخَلاص خارج الكنيسة**) يُعْتَبَرُ ثورة انفصاليَّة (**كوبرنيكيَّة**)، وبنحوه قال الأب **هانس كونج**[٢].

وبِصَرْفِ النَّظَرِ عن الرأي الذي يُمَثِّل الموقف الحقيقيَّ **للكنيسة الكَاثُولِيكِيَّة** بين تلك الآراء السابقة، فإنَّ جميع وثائق ومُقَرَّرَات **المَجْمَع** مُتَاحة بين أيدي الباحثين، يُمكن فَحْصها وتحليلها ونقدها، من أجلِ تحديد موقف **الكنيسة الكَاثُولِيكِيَّة**

---

(١) See: Michael Lacey and Francis Oakley, The Crisis of Authority in Catholic Modernity, p. 127.

(٢) انظر: الأب جوزيف كميل جبارة، علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيَّة: آفاقٌ وحدودٌ، (واقعُ الحِوارِ الإسلامي المسيحي)، ص: ٣٦-٣٨، هانس كونج، إجابات مسيحيَّة، (المسيحيَّة والإسلام: من الجِوارِ إلىٰ الحِوارِ)، ص: ٤٨.

بشكلٍ موضوعيٍّ، فتلك الوثائق ليست علىٰ درجةٍ من الغموض بحيث تتضارب الآراء حول مضامينها، أو يتعذر معها تحديد موقف الكنيسة من المفهومِ الخَلاصيِّ. فإنَّه من المعلوم أنَّ **الكَنِيسَةَ الكَاثُولِيكِيَّةَ** تَرْتَكِزُ علىٰ مجموعة من الأصول العقائديَّة، أو ما يُسمىٰ بالأسرار[1]، التي تقوم عليها تلك الديانة، والإخلال بإحدىٰ تلك الأصول أو الأسرار يُخِلُّ بمجموع الديانة ككل، وقد يصبح الشخص مُسْتَحِقًّا الخروج من دائرة الإيمان الخَالِصِ أو الإيمان كله. ومن تلك العقائد الرئيسة في الإيمان الكاثوليكي، والمُتَّصِلَة بجميع هذه الأصول أو الأسرار، عقيدة الخَلاص ومدىٰ شموليَّتِهِ، ومن الذي يستحقه.

وفي هذا البحثِ الخَاصِّ بموضوع الخَلاص، سوف يتم عَرْض مفهوم الخَلاص وأهميَّته، ومجمل اعتقاد **الكنيسة الكاثوليكيَّة** في الخَلاص عبر التاريخ، ومن ثَمَّ يأتي بيان ما طرأ علىٰ هذا الاعتقاد من تَغَيُّر من خلال (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، وفحص وتحليل وثائقه ونقدها، من أجلِ الوصول إلىٰ تقييمٍ موضوعيٍّ لحقيقتها وقيمتها، وحجم التَّحَوُّل فيها عن الاعتقاد التقليديِّ السائد في تاريخ وتراث الكنيسة.

---

(١) هذه الأسرار في الكنيسة الكاثوليكيَّة سبعة: المَعْمُوديَّة، والتثبيت، العشاء الرباني (الإفخارستيا)، والتوبة، ومسحة المرضىٰ، والكهنوت، وطقس الزواج. انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٦٥-١٧٣.

المطلب الأول
مفهوم الخَلاص وأَهَمِّيته

المقصود بالخَلاصِ في اعتقاد **الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ** واللاهوت المسيحي بشكلٍ عامٍّ، هو: نجاة الروح من الخطيئة، وقبولها في السماء بعد الموت وحصولها علىٰ الفداء علىٰ يد **يسوع المسيح**[(١)]، والمُخَلِّصُ هنا حَصْريًّا هو **يسوع المسيح** بشخصه وخدمته التي أدَّاها علىٰ الصليب، فبها ومن خلالها تكون ولادة الإنسان ولادةً ثانيةً بالروح، ومن ثَمَّ دخول هذه الروح إلىٰ الملكوت، فـ «هذه الحياة الجديدة غير ممكنة بدون الإيمان **بموت المسيح**، فبدون ذلك، جميع النَّاس واقعون فعلًا تحت الدينونة»[(٢)]. وتتضمن فكرة الخَلاص في الكاثوليكيَّة أمرين

(١) انظر: نور الدين خليل، قاموس الأديان الكبرىٰ الثلاثة: اليهودية والمسيحيَّة والإسلام، ص: ٦٨١.

(٢) انظر: القس صموئيل حبيب والقس منيس عبد النور وآخرين، دَائِرَةُ المَعَارِف الكِتَابِيَّة، ص: ٣١٨.

مُهِمَّين: **الأول**: أن يبتعد الإنسان في هذه الحياة عن الخطايا والمعاصي، وذلك من خِلالِ قَبُولِهِ بنعمَةِ اللهِ الخَلاصيَّة والحياة الأبديَّة. **الثاني**: الاعتقادُ بأنَّ حفظ الإيمان وسلامة العقيدة هي سبيل الخَلاص، يقول الأب الكاثوليكي وعالم اللاهوت المعاصر **جوستافو جوتييرث الدومنيكاني** Gustavo Gutierrez: «تؤكد الحقائق الكَنَسِيَّة أنَّ الأسرار المُقَدَّسَة وحدها هي القنوات التي تنقل إلينا النعمة الإلهيَّة المُخَلِّصَة من الخطايا التي تحول دون استحقاقنا للحياة الأبديَّة»[1].

وعليه، فإنَّ موضوع الخَلاصِ واعتمادِهِ وتَمَرْكُزِهِ علىٰ **يسوع المسيح** والإيمان به وبكنيسته المُمَثِّلَة له، يُعتبر من أَهَمِّ مواضيع العقيدة المسيحيَّة بشكلٍ عامٍّ، والعقيدة الكاثوليكيَّة بشكلٍ خاصٍّ، قبل انعقاد (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**) وبعده. ويُمكن أن تُجَسَّدَ تلك الأهميَّة من خلال أمرين اثنين:

الأول: أنَّه اعتقادٌ مَرْكَزِيٌّ في الإيمانِ المسيحيِّ، فهو، كما يقول الكتاب -أو بالأحرىٰ المَتْن العقائدي الإيماني للكنيسة الكاثوليكيَّة- الذي يحمل عنوان: (**التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**)[2]، في المادة رقم (١٦١)، تحت عنوان: (**ضرورة**

---

(١) جوستافو جوتييرث الدومنيكاني، لاهوت التحرير: التاريخ والسياسة والخلاص، ص: ٢٤٨.

(٢) تمت مراجعته وفقًا للنصِّ اللاتينيِّ الرَّسميِّ الصَّادِرِ عن البابا **يوحنا بولس الثاني**، والذي قال عن هذا المتن في مقدمة هذا الإصدار: «إنَّه لسببٌ للفرحة =

الإيمان)، ما نَصُّهُ: «الإيمانُ **بيسوعَ المسيح**، وبالذي أرسَلَهُ من أجْلِ خَلاصِنا، ضروريٌّ للحُصُولِ علىٰ هذا الخَلاص»[١]. ويقول **جوستافو جوتييرث الدومنيكاني**: «[الخَلاص] هو المفهومُ المِحْوَريُّ لِسِرِّ الإيمانِ المسيحيِّ . . . فخلاصُ الذَّاتِ الإنسانيَّة بِكُلِّيتها يرتكز علىٰ **يسوع** المُحَرِّر»[٢]. وجاء في الوثيقة **الفاتيكانيَّة**، الصادرة عن (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**)، التي تحمل عنوان: (**دستورٌ عقائِديٌّ: الكنيسة** Lumen gentium)، «أنَّ المسيح وحده هو وسيطُ الخلاصِ وصِراطُه، هو الحاضرُ لأجلنا في جسده الذي هو الكنيسة»[٣]، وكذلك جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ عقائديٌّ: الوحي الإلهي** Dei Verbum)، أنَّ «كل ما قام به **المسيح** من تدابير خَلاصيَّة هو العهدُ الجديدُ النهائيُّ. ولذلك فهو غيرُ زائلٍ أبَدًا، ولن يُرْقَبَ بعدَه ظهورٌ إلهيٌّ آخر، إلىٰ أن يتجلَّىٰ ربُّنا **يسوع المسيح** في مجده»[٤].

= العظيمة أن يتم نشر الطبعة اللاتينيَّة النموذجيَّة من كتاب (**التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**). لقد تمت الموافقة عليه وإصداره من قِبَلِي في هذه الرِّسَالة الرَّسُولِيَّة، وهكذا يصبحُ النَّص النِّهائي للتعليم المسيحي». انظر:

Catechism of the Catholic Church, p. xiii.

(١) Catechism of the Catholic Church, p.44.

(٢) جوستافو جوتييرث الدومنيكاني، لاهوت التحرير: التاريخ والسياسة والخلاص، ص: ٢٤٥.

(٣) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٣٨، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٠.

(٤) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، =

الثاني: أنَّ هذا الموضوع هو المُحَدِّدُ الرئيس لعلاقةِ **الكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّة** بغيرها من المذاهب المسيحيَّة الأخرىٰ والأديان المختلفة في أنحاء العَالَم كله، فمفهوم الخَلاص هو الذي يُحَدِّدُ موقف الكنيسة من هؤلاء، وهل هم كفارٌ أم مُبْتَدِعَةٌ؟ وهل هم هالِكون في الأبديَّة خالدون في جَهَنَّم؟ وهل الحِوارُ مَعَهم لأجل تَنمِيَة وتعميق العلاقات الحَسَنَة والوديَّة معهم؟ أم أنَّ الغَرَضَ الحقيقيَّ من الحِوارِ هو هدايتهم وردهم عن ضلالهم وكُفرهم الذي هم عليه؟ وقد أشار بعض علماء اللاهوت الكاثوليكيين المعاصرين، المنفتحين علىٰ الحِوارِ والمُوسِّعِين لمفهوم شُموليَّة الخَلاص، إلىٰ أنَّه لا فائدة من الحِوارِ الذي أطلقه وتبناه **الفاتيكان** إذا كان يدور مع أُناسٍ سيذهبون إلىٰ النَّار! وأُناسٍ لا ترىٰ **الكَنِيسَةُ الكَاثُولِيكِيَّة** لهم طريقًا للخَلاص سوىٰ هدايتهم واعتناقهم لدينها[1]. وهكذا، فإنَّ موقفَ **الكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّة** هذا ليس فقط مجرد عقيدة إيمانيَّة راسخة معزولة لا ينتج عنها آثارٌ مُتَعَدِّيةٌ، وإنَّما هو عقيدة حيَّة مُؤثِّرَة تُلْقِي بظلالها في كل عصرٍ علىٰ علاقة الكاثوليك بغيرهم من المخالفين لهم داخل الإيمان المسيحي،

= ص: ٩٩٥، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٢٣.

(١) انظر: هانس كونج، إجابات مسيحيَّة، (المسيحيِّة والإسلام: من الحِوارِ إلىٰ الحِوارِ)، ص: ٤٧-٤٨.

ومن خارجه مع أتباع الديانات الأخرىٰ، ويترتَّب عليها مجموعة كبيرة من الآثار الواقعيَّة، التي تُؤثِّر علىٰ حياة النَّاس في أرجاء العَالَم كُلِّهِ.

المطلب الثاني
الخَلاص عَبْـرَ تاريخِ الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ

لقد كان الاعتقادُ الرَّاسخُ في **الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ** ولدىٰ كبار اللاهوتيين الذين رسموا طريقها العقائدي، أنَّه لا خَلاصَ دون **يسوع المسيح**، فقد قال **بولس**: «فَاعلَموا جميعًا، وليَعلَمْ شَعبُ إسرائيلَ كُلُّهُ، أنّه بِاسمِ **يَسوعَ المَسيحِ النّاصِريّ** الذي صَلَبتُموهُ أنتُم فأقامَهُ اللهُ مِنْ بَينِ الأمواتِ . . . هوَ الحجَرُ الذي رَذَلتُموه أنتم البَنَّائينَ، فصارَ رأسَ الزَّاوِيَةِ. فلا خَلاصَ بأحدٍ غيره [=**يسوع**]، لأنَّه ما مِنَ اسمٍ آخَرَ تَحتَ السّماءِ أُطلِقَ علىٰ أحدِ النَّاسِ نَنَالُ بِه أنْ نَخلُصَ»[(١)]. وقد رَبَطَ كبار علماء اللاهوت في مسألة الخَلاص بين تحَقُّقِهِ الحَصري في **يسوع المسيح** وتَمَثُّلِهِ في كنيسته الوحيدة الحَقَّة والمُقَدَّسَة. فمثلًا: القديس **أوغسطين** Augustine (٤٣٠م)،

(١) أعمال الرسل: (٤: ١٠-١٧).

الذي كان يُمَثِّلُ التيار الرئيس في **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، كان يرىٰ أنَّه لا خَلاص خارج المسيحيَّة و**المسيح**، وكذلك لا خَلاص خارج **الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ**[١]، وأيَّدَه وتابعه علىٰ ذلك أتباعه[٢].

ويضيف عليهم **توماس الأكويني** Thomas Aquinas (١٢٧٤م) أنَّ الكَافِرَ الذي لم يسمع بالإنجيل أبدًا ملعونٌ بسبب خطاياه الأخرىٰ دون الكُفْرِ، والتي لا يمكن أن تُغفر بدون الإيمان **بالمسيح**، ولهذا سيتم استبعادهم من الخَلاص[٣]، وكان يرىٰ أنَّ الأسرار المسيحيَّة ضروريَّة للخَلاص ولا خَلاص بدونها[٤]. هذا الموقف من الخَلاص خارج الكنيسة هو الموقف الذي تَبَنَّتْه **الكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ**، وصار هو المُعْلَنَ والسَّائِدَ والرَّسميَّ لمعظم الباباوات والمجالس **الفاتيكانيَّة**[٥]، وتَفَرَّعَ عنه الموقفُ الرَّسميُّ والتاريخيُّ للكنيسةِ، الذي كان في غاية الشِّدَّةِ والصَّرامة والحَزم، تجاه المخالفين بأنواعهم: المسيحيِّين، وغير المسيحيِّين، فلا خَلاص

---

(١) See: Bruce Demares, The Cross and Salvation: The Doctrine of Salvation , p. 66, Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 72.

(٢) See: Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 26.

(٣) See: Peter Dimond, Outside the Catholic Church There Is Absolutely No Salvation, p. 108.

(٤) See: Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 28 & 31.

(٥) See: Francis Sullivan, Salvation Outside the Church? Tracing the History of the Catholic Response, p. 5-6.

لأتباع ديانات العَالَم الأخرىٰ، وليس لأديانهم فعاليَّة خَلاصيَّة، بل يجب أن يَتَحَقَّقَ الخَلاص في **المسيح** وكنيسته **الكنيسة الكاثوليكيَّة** فقط[١]. يقول الباحث الكاثوليكي **بيتر ديمون** Peter Dimond: «الحقيقة التي تقول: إنَّ كل من يموت وهو جاهلٌ وغير كاثوليكيٍّ لن ينال الخَلاص، هي الموقف الثابت للتقليدِ الكاثوليكيِّ وجميع القديسين، بالإضافة إلىٰ كونه التعليم العقائدي **للكنيسة الكاثوليكيَّة**»[٢].

ولهذا، فإنَّ موقف **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، طوال تاريخها، من المخالفين لها في العقيدة، داخل الديانة المسيحيَّة نفسها أو خارجها، منذ نشأتها وحتىٰ منتصف القرن العشرين، كان موقفًا شديد القتامة بالغ السلبيَّة، حيث اعتبرت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** بشكلٍ صريحٍ ومُعْلَنٍ أنَّ المخالفين لها -من أتباع الأديان الأخرىٰ كالمسلمون واليهود أو حتىٰ المذاهب المسيحيَّة غير الكاثوليك- كُلُّهم كُفارٌ، وهم جميعًا خارج دائرة (**الخَلاصِ المسيحيِّ**)، فهم هالكون ومصيرهم إلىٰ جَهَنَّم. ولهذا فقد أخضعتهم طوال تاريخها للامتحانِ والتحقيق عبر **محاكم التفتيش** إذا كانوا في أراضيها الخاضعة لها، أو سَيَّرَت إليهم الحملات والحروب الصليبيَّة إذا كانوا خارج نطاق سلطانها. ومنذ العصور الوسطىٰ التي سيطرت

(١) see: John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 162.

(٢) Peter Dimond, Outside the Catholic Church There Is Absolutely No Salvation, p. 109.

فيها **الكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ** علىٰ كافة أوروبا، وكانت لها وحدها غالبًا الكلمة العليا، تَجلَّت عقيدة الخَلاص بشكلٍ واضحٍ، وظهرت تبعاتها بجلاء. ففي عام ١٢٠٨م أصدر البابا **إينوسنت الثالث** Innocent III (١٢١٦م) بيانَ (**إعلان الإيمان** Profession of Faith)، ومما جاء فيه: «نؤمن بقلوبنا، ونعترف بشفاهنا، أنَّ هناك كنيسة واحدة، وهي ليست كنيسة الهراطقة، بل الكنيسة الرومانيَّة الكاثوليكيَّة والرَّسُوليَّة المُقَدَّسَة، التي نعتقد أنَّه لا أحد يخلص خارجها»[١]. وفي عام ١٢١٥م أعلن مَجْمَعُ **لاتران الرابع** Fourth Council of the Lateran بقيادة البابا **إينوسنت الثالث** أنَّه لا نجاة، ولا مغفرة خطايا، ولا حياة أبديَّة إطلاقًا، لكل من هو غير كاثوليكي[٢]، وتَمَّ تأكيد الاعتقاد بأنَّ الخَلاص لا يكون خارج الكنيسة بل مَحْصُورٌ داخلها فقط[٣]، حيث كانت المؤسَّسَة البابويَّة

(١) Francis Sullivan, Salvation Outside the Church? Tracing the History of the Catholic Response, p. 5, Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 27.

(٢) انظر: دعاء محمود فينو، الحوار المسيحي الإسلامي قراءة في كتاب: التصورات اللاهوتية المسيحية عن المسلمين منذ مجلس الفاتيكان الثاني، ص: ١٥٧-١٥٨. وأيضًا:

Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 27.

(٣) see: F. L. Cross, E. A. Livingstone, The Oxford Dictionary of the Christian Church, p. 1605, Francis Sullivan, Salvation Outside the Church? Tracing the History of the Catholic Response, p. 5, Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 27.

ترىٰ في عُرْفِها أنَّ كل دينٍ أو مذهبٍ تؤمن به الشعوب الأخرىٰ غير الكاثوليكيَّة لا يكون إلا هَرْطَقةً[1]. وفي عام ١٣٠٢م، أَعْلَنَ البابا **بونيفاس الثامن** Boniface VIII (١٣٠٣م) مرسومًا بعنوان (**كَنِيسَةٌ مُقَدَّسَةٌ وَاحِدَةٌ** Unam Sanctam)، بأنَّه لا خلاص ولا مغفرة خارج سلطة البابا والخضوع له، ومما قال فيه: «نحن ملزمون من خلالِ إيمانِنا بأن نعتقد وأن نلتزم بأنَّ هناك كنيسة كاثوليكيَّة ورسُوليَّة واحدة فقط، وبكلِّ تأكيدٍ نحن نعتقد بشدةٍ ونعترف بإخلاصٍ بهذا، وبأنَّه لا يوجد خَلاصٌ ولا مغفرةٌ للخطايا خارج هذه الكنيسة. وعلاوة علىٰ ذلك، فإننا نُعْلِنُ ونُصَرِّحُ ونُوضِّحُ أنَّه بالنسبة إلىٰ كُلِّ مخلوقٍ بشريٍّ، فإنَّه من الضروريِّ الحَتْمِيِّ من أجلِ الخَلاص أن يخضع للحبر الروماني [=البابا]»[2]. وأصبح هذا الاعتقاد المُقَرَّر في تلك الإعلانات والبيانات هو سَيِّدَ الموقف لدىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، حيث يقول اللاهوتي الكاثوليكي **جيرالد جلين أوكولينز اليسوعي**: «بقي تعليم **إنوسنت الثالث** و**بونيفاس** حول (**لا خَلاص خارج الكنيسة**) ساريًا بشكلٍ رسميٍّ»[3]. وقد أكَّدَ مَجْمَعُ **فلورنسا المسكوني** The Ecumenical

---

(١) انظر: جمال الوكيل، تطور إستراتيجيَّة الحروب الصليبيَّة في القرن الرابع عشر الميلادي، ص: ٦٦-٦٧.

(٢) Francis Sullivan, Salvation Outside the Church? Tracing the History of the Catholic Response, p. 5-6, Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 31.

(٣) see: Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 41.

Council of Florence، وهو المَجْمَعُ المسكونيُّ السابع عشر **للكنيسة الكاثوليكيَّة**، الذي عُقِدَ في **فلورنسا** بإيطاليا ما بين (١٤٣١م- ١٤٤٥م)، علىٰ تلك العقيدة الرَّاسخة في احتكار الخَلاص والموقف تجاه الأديان والمذاهب غير **الكاثوليكيَّة**، حيث بَيَّنَ أنَّ «الكنيسة الرومانيَّة المُقَدَّسَة تعتقد اعتقادًا راسخًا، وتُؤَكِّد وتَعِظ بأنَّه لا أحد باقٍ خارج **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ليس فقط الوثنيين وحدهم، ولكن أيضًا اليهود أو الهراطقة والمنشقين، يمكن أن يصبحوا شركاء في الحياة الأبديَّة، لكنَّهم سيذهبون إلىٰ النَّار الأبديَّة المُعَدَّة للشيطان وأتباعه، ما لم يتم قَبُول شراكتهم [من قبل الكنيسة **الكاثوليكيَّة**] قبل موتهم»[١]. وكذلك تَمَّ تأكيد تلك العقيدة حين انعقد (**مَجْمَعُ تِرَنْت** Council of Trent)، وهو المجمع المسكوني التاسع عشر **للكنيسة الكاثوليكيَّة**، الذي دعا لانعقاده البابا **بولس الثالث** Paul III سنة ١٥٣٧م، لكنَّه لم ينعقد إلا في عام ١٥٤٥م في **تِرَنْت** بشمال إيطاليا، واستمر فترة طويلة

---

(١) Peter Phan, Interreligious and Ecumenical Dialogue at Vatican II: Some Rethinking Required, p. 13. And see: F. L. Cross, E. A. Livingstone, The Oxford Dictionary of the Christian Church, p. 1605, Francis Sullivan, Salvation Outside the Church? Tracing the History of the Catholic Response, p. 6&12, Michael Lacey and Francis Oakley, The Crisis of Authority in Catholic Modernity, p. 127.

هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ١، ص: ٣٦٣-٣٦٤، الأب جوزيف كميل جبارة، علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيَّة: آفاقٌ وحدودٌ، (واقعُ الحِوارِ الإسلامي المسيحي)، ص: ٣٧.

(من ١٥٤٥م حتىٰ ١٥٦٣م)[١]، وقد أقيم هذا المَجْمَعُ لتأكيد وتجديد عقائد الكاثوليك، ومحاولة احتواء طائفة **البروتستانت** أو مواجهتها، والذي انتهىٰ باعتبارها هرطقة، وبرفضها وإصدار الإدانات بحقِّ أتباعها[٢]، وباستبعادها من عضويَّة الكنيسة الجامعة الواحدة بوصفها طائفة مُنْفَصِلَة[٣]، والتأكيد علىٰ أنَّ العقائد الكاثوليكيَّة ضروريَّة للخَلاصِ[٤]، وأنَّه لن يكون هناك خَلاص لكل من هو خارج الإيمان الكاثوليكي الحق[٥]. وقد أكَّدَ هذا الاعتقاد أيضًا البابا **ليون الثاني عشر** Leo XII (١٨٢٩م) في رسالته البابويَّة (Ubi Primum) سنة ١٨٢٤م، حيث قال: «من المستحيل بالنسبة إلىٰ الإلهِ الحقيقيِّ، الذي هو الحقيقة نفسها والأكمل والمعطي الأحكم والمجازي الرجال الطيبين، أن يقبل جميع الفِرَق التي تعتقد تعاليم زائفة -والتي غالبًا ما تكون متضاربةً ومتناقضةً مع بعضها- وأن يمنح لأتباعها العطاءات

---

(١) see: F. L. Cross, E. A. Livingstone, The Oxford Dictionary of the Christian Church, p. 1639.

(٢) انظر: نور الدين خليل، قاموس الأديان الكبرىٰ الثلاثة: اليهودية والمسيحيَّة والإسلام، ص: ٧٦٣-٧٦٤.

(٣) see: John Thiel, Senses of Tradition: Continuity and Development in Catholic Faith, p. 103.

(٤) see: F. L. Cross, E. A. Livingstone, The Oxford Dictionary of the Christian Church, p. 1639.

(٥) see: Francis Sullivan, Salvation Outside the Church? Tracing the History of the Catholic Response, p. 6.

الأبديَّة . . . . وهذا هو سبب إعلاننا أنَّه لا يوجد خَلاص خارج الكنيسة»[١] . وفي عهد البابا **غريغوري السادس عشر** Gregory XVI (١٨٤٦م) في عام ١٨٣٢م، وأيضًا في عام ١٨٦٤م، في عهد البابا **بيوس التاسع** Pius IX (١٨٧٨م)، في منشور (Quanta Cura)، تم اعتماد **(قائمة الأخطاء المُدَانة)**، ومنها: الخطأ رقم (١٦)، الذي يَنُصُّ علىٰ أنَّه إذا اعتقد إنسانٌ أنَّه: «يمكن للبشر أن يجدوا طريق الخَلاص الأبدي، وينالوا هذا الخَلاص الأبدي من خلال ممارسة أيِّ دينٍ مهما كان»، فهو ملعون. وكذلك الخطأ رقم (٧٩)، مُدَانٌ أيضًا، وهو: «الادعاء بأنَّ الحريات المدنيَّة لجميع الأديان لا تؤدي إلىٰ اللا مبالاة الدينيَّة»[٢] . وهكذا، فقد تَرَسَّخَ في عقيدة **الكنيسة الكاثوليكيَّة** اعتبار أنَّه من الهرطقةِ والرِّدَّةِ اعتقاد أنَّ أحدًا من المخالفين من غير الكاثوليك يسعه أو يُمكنه أن ينال الخَلاص خارج الكنيسة، وصار من الثابتِ والقطعيِّ أنه لا خَلاص خارج **الكنيسة الكاثوليكيَّة**[٣] . يقول البابا **بيوس التاسع** في سنة ١٨٥٤م في خطبةٍ رسميَّةٍ له بعنوان: (**خِطَابٌ إلىٰ الكَرَادِلَةِ** Singulari quadam): «لا شَكَّ أنَّه يجب أن نؤمن كمعتقدٍ بأنَّه لا يمكن لأيِّ

---

(١) Peter Dimond, Outside the Catholic Church There Is Absolutely No Salvation, p. 16.

(٢) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 129.

(٣) see: Francis Sullivan, Salvation Outside the Church? Tracing the History of the Catholic Response, p. 5.

شخصٍ أن ينال الخَلاص خارج الكنيسة الرومانية الرَّسُولِيَّة، وأنَّها هي سفينة الخَّلاص الوحيدة، وأنَّ كل من لن يدخلها يهلك في الطوفان»[1]. ويذهب البابا **بيوس التاسع** إلىٰ أنَّ من يجهل الدِّينَ الحقَّ جهلًا لا إرادة له فيه ولا قدرة له عليه، فلا ذنب عليه ولن يُحَاسِبه الله علىٰ خطيئة الكُفْرِ، لكنَّه مع ذلك سيذهب إلىٰ الجحيم[2]. أما البابا **بيوس الحادي عشر** Pius XI (١٩٣٩م) في سنة ١٩٢٩م، في رسالته العامَّة التي تحمل عنوان: (**الجَسَدُ السِّريُّ للمَسِيحِ** On the Mystical Body of Christ)، فقد اعتبر أنَّ طائفة البروتستانت طائفة مُنْفَصِلَة خارج الكنيسة الحقيقيَّة الوحيدة، وأنَّها قد تخلت عن الكنيسة الحقيقية بطريقةٍ آثمةٍ، ولهذا صاروا خوارج منشقين وهراطقة، ولا يُمكن لهم الخَلاص ولا النجاة إلا بالوحدة والعودة إلىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** الرومانيَّة التي هي كنيسة **المسيح** الوحيدة الحقيقيَّة، ثم الاعتراف بخضوعٍ والقبول بإذعانٍ بسلطة ونفوذ **بُطْرُس**، وخلفائه الشرعيين الذين هم الباباوات في **الفاتيكان**[3]. يقول المطران **كيرلّس سليم بسترس**: «منذ المَجْمَعِ

---

(١) Francis Sullivan, Salvation Outside the Church? Tracing the History of the Catholic Response, p. 6.

(٢) see: Peter Dimond, Outside the Catholic Church There Is Absolutely No Salvation, p. 108.

(٣) see: Peter Phan, Interreligious and Ecumenical Dialogue at Vatican II: Some Rethinking Required, p. 13, John Thiel, Senses of Tradition: Continuity and Development in Catholic Faith, p. 103-104.

التريدنتينيّ (١٥٤٥م-١٥٦٣م) كانت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** تعتبر نفسها هي وحدها كنيسة **المسيح** وجَسَدَهُ السِّرِّيَّ، وكل ما سواها من كنائس مسيحيَّة أخرىٰ ومن مؤسَّسَات إنسانيَّة غير مسيحيَّة كان في نظرها خارجًا عن جَسَدِ **المسيحِ** . . . أما بالنسبة إلىٰ علاقة الكنيسة بسائر المسيحيين وبالعَالَم، فقد وَقَفَ المَجْمَعَان السابقان [=**التريدنتينيّ والفَاتِيكَانيّ الأول**] وقفة حذرٍ وعداءٍ من الكنائس المسيحيَّة الأخرىٰ ومن التيارات اللاهوتيَّة والفكريَّة والثقافيَّة المعاصرة»(١). وقد استمرت هذه الأحكام والتعاليم تجاه الطوائف والأديان المخالفة إلىٰ سنة ١٩٥٣م، حيث أكَّدَ فيها البابا **بيوس الثاني عشر** Pius XII (١٩٥٨م) رفضه لمبدأ التسامح مع الأديان الأخرىٰ، وتأكيده أنَّ ما لا يتوافق مع الحقيقة والأخلاق ليس له الحق في الوجود أو الانتشار(٢). ويُؤكِّد الباحثُ **بيتر فان** Peter Phan، عَالِم اللاهوت والقس الكاثوليكي الأمريكي المعاصر، أنَّ الكنيسة **الكاثوليكية** استمرت تضم الإسلام إلىٰ قائمة الهراطقة والأديان الخارجيَّة بوصفه دينًا وثنيًا، وأنَّ هذا الاعتقادَ الكاثوليكيَّ الرَّسميَّ تجاه الأديان ظَلَّ مُسْتَمِرًّا بشكلٍ مُعْلَنٍ وصريحٍ عند آباء **الكنيسة الكاثوليكيَّة** منذ العصور القديمة وحتىٰ بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، أي حتىٰ عام ١٩٦٥م، وهو

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٢٢.

(٢) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 129.

نهاية انعقاد (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**)[١]، حيث استمر الحُكمُ علىٰ المخالفين، ومنهم الطوائف البروتستانتية، منذ عصر الإصلاح إلىٰ عَشِيَّة (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**)، علىٰ أنَّها خارج الكنيسة، مُستَنِدًا علىٰ الحقيقة العقائديَّة البديهيَّة الكاثوليكيَّة الرَّاسخة، القائلة: إنَّ روح **يسوع المسيح** ترفض أن تحل بالنعمة المُقَدَّسَة في هؤلاء الأعضاء الذين انفصلوا كليًّا عن الجسد= **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، وبما أنَّه لا خَلاص خارج الكنيسة، وهؤلاء يقفون خارجها، فإذن لا خلاص لهم[٢]. وهكذا، وكما يُشير اللاهوتي الكاثوليكي **جيرالد جلين أوكولينز اليسوعي**، فإنَّ كثيرًا مما قُرِّرَ وكُتِبَ في التراثِ الكاثوليكيِّ منذ العصور الوسطىٰ وحتىٰ القرون الحديثة، قد عانىٰ من الجهل، وتم تشيكله من خلال الخوف علىٰ الهويَّة المسيحيَّة والحِرص علىٰ صيانتها، وذلك من خلال نبذ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** لليهود والمسلمين وغيرهم[٣].

---

(١) see: Peter Phan, Interreligious and Ecumenical Dialogue at Vatican II: Some Rethinking Required, p. 13.

(٢) see: John Thiel, Senses of Tradition: Continuity and Development in Catholic Faith, p. 104.

(٣) see: Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 22.

المطلب الثالث
إرهاصاتُ التَّحَوُّل
في موقف الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ

إنَّ الموقفَ التاريخيَّ السابق **للكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ** ظلَّ الموقف المعروف الثابت والرَّاسخ عَبْرَ تاريخها الطويل، والذي لم تُفَكِّر إطلاقًا في تغييره أو تجديده في تلك العصور التي كانت فيها مُتَفَرِّدَة بالهيمنة علىٰ أوروبا، هيمنة دينيَّة وسياسيَّة واقتصاديَّة، وعلىٰ ذلك الموقف بُنِيَ تراثها التقليدي وتَرَسَّخ. إلا أنَّه في القرون الأخيرة ظَهَرَت إرهاصاتٌ أنبأت عن حُدُوثِ تَوقُّفٍ وتأملٍ وإعادةِ نَظَرٍ في هذا الموقف وتَبِعَاتِه داخل **الكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّة** وخارجها. فمنذ القرن السادس عشر الميلادي ظهرت تساؤلاتٌ عميقةٌ وإشكاليَّاتٌ جادةٌ حول موضوع استحقاق الخَلاص ومحدوديَّته لدىٰ **الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ**، وذلك إثر احتكاك المسيحيَّة الواسع بعقائد غير المؤمنين بها، وخصوصًا الوثنيين، ثم تَوَسَّعَت

تلك التساؤلات والإشكاليَّات وازدادت تعقيدًا وإلحاحًا حول موضوع (**شموليَّة الخَلاص**) بسبب اتساع دائرة الكشوفات الجُغْرَافيَّة في القرون المتأخرة، حيث اكتشفت **الكَنِيسَةُ الكَاثُولِيكِيَّة** وجود الإنسان خارج إطارها الجُغْرَافي المعهود والتقليدي، ووجود أممٍ وشعوبٍ كثيرةٍ في قاراتٍ ومناطقَ نائية وبعيدة جدًا عن سلطة الكنيسة، ومن ثَمَّ تعذر وصول الرسالة المسيحيَّة التبشيريَّة إليهم، فهم يجهلون تمامًا **يسوع المسيح** ورسالته الخَلاصِيَّة[1].

وهكذا، فقد كان اكتشاف الأوروبيين، خُصوصًا الكاثوليك، حين وصولهم إلىٰ العَالَم الجديد في أمريكا، لأممٍ وشعوبٍ جديدة عاشت لقرونٍ عديدةٍ لا تعرف شيئًا عن رسالة **المسيح** الخَلاصيَّة، بمثابة مفاجأةٍ تامَّةٍ، كما يقول العَالِم الكاثوليكي **جيرالد أوكولينز اليسوعي**، مفاجأة أثارت -من جهةٍ- جملةً من الأسئلةِ الحَرِجَةِ والعميقةِ داخل الإيمان الكاثوليكي نفسه، حول حقيقة ومدىٰ أهميَّة وضرورة فداء **المسيح**، ومصير هذه الأمم والشعوب عند الله، وهم لم يسمعوا كلمة واحدة عن **المسيح**، وأثارت -من جهةٍ أخرىٰ- إحراجًا للكاثوليكيَّة من خارجها. وكما مَثَّلَ ذلك مشكلةً بالنسبة إلىٰ الأوروبيين الكاثوليك في ذلك الوقت، فقد استمرت هذه المشكلةُ في العصر الحديث وتفاقمت، حيث أصبح العَالَمُ قريةً واحدةً، وعَرَفَ الكاثوليك أعداد أتباع الديانات

---

(١) انظر: جوستافو جوتييرث الدومنيكاني، لاهوت التحرير: التاريخ والسياسة والخلاص، ص: ٢٤٨.

الأخرىٰ الهائلة وثقافاتها، واتضح لهم أن المسيحيَّة لم تصل إلىٰ هؤلاء النَّاس، ولم يعرفوها بتاتًا[١]. ومن هنا، فقد أثار مفهوم الخَلاص وشموليَّته في التصور التقليدي الكاثوليكي حَرَجًا داخليًّا وخارجيًّا، فتضخم التساؤل حول هذا المفهوم وحدوده، ومع صُعُود العَلمانيَّة وفُقدان الكنيسة لسلطتها كدولة، أصبحت القضيَّة أكثر إلحاحًا، وبرزت تساؤلاتٌ عديدة عُرِفَت تاريخيًّا وعقائديًّا تحت عنوان: (**خَلاص الوثنيين**) أو مسألة (**التوحيد الكامن أو الضمني** Implicit Theism)[٢]، وتحت هذا العناوين ناقش علماءُ المسيحيَّة، وعلىٰ رأسهم علماء **الكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّة**، عدة تساؤلات مُهِمَّة، من مثل: من الذي يُمكن خَلاصه؟ وما مقدار عدد الذين سينالون الخلاص؟ وما الدور الذي ستقوم به الكنيسة في عمليَّة الخَلاص؟ ومن هذه الإشكاليات والتساؤلات وُلِدَت مواضيع عقائديَّة جَوْهَرِيَّة داخل دائرة التراثِ الدِّينيِّ الكاثوليكيِّ، مثل: موضوع (**شموليَّة الخَلاص**)، وموضوع (**الكنيسة المنظورة كوسيطٍ للخَلاص**)[٣]، فصارت هذه الموضوعات مَحَلَّ النقاش والجَدَل بين المؤسَّسَة الرَّسميَّة للكنيسة وبين بعض العلماء

---

(١) see: Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 36 & 52.

(٢) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 22,128-129 & 163.

(٣) انظر: جوستافو جوتييرث الدومنيكاني، لاهوت التحرير: التاريخ والسياسة والخلاص، ص: ٢٤٧.

اللاهوتيين الكاثوليك، الذين حاولوا تقديم إسهاماتٍ واجتهاداتٍ فَرْدِيَّة من أجل الإجابة عن تلك التساؤلات المُشْكِلَة، وقد أثارت إجابتهم بدورها المزيد من الجَدَلِ والقَلَقِ في أوساط رجالِ الدين التابعين **للكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّة**.

ومن النقاشات المُحْتَدِمة حول هذا الموضوع بين علماء **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، خصوصًا في العقود المتأخرة، نشأت وبَرَزَت أزمة لاهوتيَّة داخليَّة في الكنيسة، تَمَخَّضَ عنها علم **(لاهوت الأديان الكاثوليكي)**، وهذا العلم أو المجال الجديد نَشَأَ وظَهَرَ -في حقيقة الأمر- ثمرةً للمشكلات اللاهوتيَّة داخل الكنيسة نفسها، وتعبيرًا عن أزمتها الروحيَّة في كيفيَّة مواجهة تساؤلات وإشكالات الموقف من مصير معظم البشريَّة التي لا تؤمن بالمسيحيَّة، بل التي لا تعرفها ولا تعرف **يسوع المسيح**، وكيف سيكون مصير هؤلاء جميعًا إلىٰ جهَنَّم. هذه الأزمة هي في حقيقتها أزمة داخليَّة في أعماقِ اللاهوتِ الكاثوليكيِّ، وقد أثارت، ولا تزال تثير، العديد من المُشكلات والشكوك اللاهوتيَّة، قبل أن تكون أزمة خارجيَّة أمام الآخرين، أي أنَّها أزمة أمام المسيحيين أنفسهم، خصوصًا عامَّة المسيحيين، الذين يرون أنَّه من الظلم والقسوة أن يرسلَ **يسوعُ المسيح**، وهو في إيمانهم الرب المحب الرحيم الفادي، هؤلاء البشرَ الأبرياءَ الغافلينَ إلىٰ عذابِ الأبديَّةِ بلا ذنبٍ منهم أو خطيئة. وكذلك أثارت هذه الأزمة -في العصر الحديث- إشكالات عديدة عند

خواص وعلماء **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، خُصُوصًا المُهتَمِّينَ بِحِوارَات الأديان، وقد أشار اللاهوتي الكاثوليكي **هانس كونج** إلىٰ هذه النُّقْطَةِ المحوريَّةِ، التي تَتَمَثَّلُ في هذا السؤالِ المفصليِّ، المتعلق بموضوع الحِوارِ بين **المسيحيَّة الكاثوليكيَّة** والأديان الأخرىٰ، وهو: ما فائدة الحِوار إذا كان يدور مع أُناسٍ سيذهبون إلىٰ النَّار؟ إذ إنَّ «موقف الكنيسة التقليدي في العصور الوسطىٰ (وخاصة **الكنيسة الكاثوليكيَّة** الرومانيَّة) واضحٌ، فهو لا يرىٰ أيَّ طريقٍ للخلاص في غير المسيحيَّة»[١].

إنَّ هذه الأزمة اللاهوتيَّة العميقة، بجوارِ أزمة الكنيسة الداخليَّة في أوروبا في بدايات القرن العشرين بسبب تفشي واستفحال المذاهب العَلمانيَّة والإلحاد، وفقدان أعدادٍ كبيرة من المسيحيين لإيمانهم، وتَعَرُّفِ واحتكاكِ المسيحيين بالأديان الأخرىٰ وما وجدوا فيها من خيرٍ وقِيَم وممارساتٍ حميدةٍ، كل ذلك دفع بالأزمة إلىٰ الواجهة الثقافيَّة العامَّة، بعد أن كانت تُطرَح في دائرة ضيِّقَة بين علماء اللاهوت والمتخصصين، وهكذا أصبحت إشكالاتها وتساؤلاتها قضيَّة مُلِحَّة وضروريَّة تتطلب إجاباتٍ كافيةً وشاملةً. وفي هذا السياق، قام بعض علماء اللاهوت المسيحي بتقديم إسهاماتٍ متعددةٍ ومتنوعةٍ من أجلِ سَدِّ هذا العجز في اللاهوت المسيحي، وكانت تلك الإسهامات عبارةً

---

(١) هانس كونج، إجابات مسيحيَّة، (المسيحيِّة والإسلام: من الجِوارِ إلىٰ الحِوارِ)، ص: ٤٧-٤٨.

عن اجتهادات فرديَّة أو جماعيَّة، لم يسلم واحدٌ منها من النقد داخل الكنيسة نفسها، كما أنَّها لم تخل من الغموض والتناقض وصعوبة الفهم والتناول لتلك الأزمة، فلذلك لم تسلم من النقد، بل تعدىٰ الأمرُ إلىٰ الإبعاد والطرد من قِبَلِ **الكنيسة الكاثوليكيَّة**.
ومع ما كان يَكْتَنِفُ تلك الإسهامات والاجتهادات الفرديَّة من غموضٍ مُتَعَمَّدٍ وتناقض، فإنَّها في محاولتها الحصول علىٰ إجابات مُقنعة ومُريحة، لم تُقَدِّم في معظمها شيئًا جديدًا حقيقيًّا يختلف في جوهره عن الموقف الكاثوليكيِّ التقليديِّ.

غير أنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** وَجَدَتْ أنَّها بحاجةٍ لمواجهة تلك الأزمة والمعضلة بنفسها وبثقل مؤسساتها وعلمائها، مستفيدة من المحاولات والإسهامات والاجتهادات الفرديَّة السابقة، التي قدمها لاهوتيون كاثوليك كبار. لقد استفادت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من مواد ورؤىٰ طُرِحَت عَبْرَ تلك التجارب والإسهامات، كما استفادت أيضًا من لغتها الغامضة والمتناقضة، وبهذه الطريقة تَعَمَّق وتَوَسَّعَ علم **(لاهوت الأديان)**، ومن خلاله حاولت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** صياغة موقفها الرَّسميِّ من سؤال: **هل يوجد خَلاصٌ خارج الكنيسة الكاثوليكيَّة؟** وبعبارة أخرىٰ: **هل يُمكِنُ تَحْقِيقُ الخَلاصِ من خلالِ الأديان والمذاهب الأخرىٰ خارج الكنيسة الكاثوليكيَّة؟** إنَّ الإجابة عن هذا السؤال تُعْتَبَرُ من القضايا

الجوهريَّةِ والفَاصِلَةِ في عقيدة وتاريخِ **الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ**، وذلك لما يترتب عليها من انعكاسات علىٰ علاقتها بالمذاهب المسيحيَّة الأخرىٰ وبقية الأديان في العَالَم، ولما للمسألة من أثر ذلك في مسار الحِوارَات الدِّينيَّة في العَالَم بين الأديان التي أطلقها **الفاتيكان**، وتبنتها ودعمتها وشَجَّعَتها **الكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ**.

المطلب الرابع
الكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ
من الماضي إلى (المَجْمَعِ الفَاتِيكَانـيِّ الثَّاني)

لقد كان الاعتقادُ الرَّاسخ لدىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** تجاه المخالفين لها، يَتَمَثَّل في عدم شموليَّة الخَلاص لهم، وقد ظَلَّ هذا الموقف سائدًا مُستَمِرًّا لقرونٍ عديدةٍ، لأجل ذلك وُصِفَتْ التعاليم المضمَّنة في وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) بالتحوُّل الجذريِّ في موقف الكنيسة، واعتُبِرَت علامةً فارقةً في تاريخ علاقات المسيحيَّة **الكاثوليكيَّة** ببقية الأديان والمذاهب المخالفة، حيث يؤكد عالم اللاهوت **بيتر فان**، أنَّ (**المَجْمَعَ الفَاتِيكَانيَّ الثَّاني**) في حقيقته «يُمَثِّلُ انفصالًا حقيقيًا عن الطريقة التي كونتها الكنيسة عن نفسها منذ **مجمع تِرَنْت** Council of Trent (١٥٤٥-١٥٦٣)»، وأنَّه من أجل فَهْم أعمقَ للعلاقات بين المسيحيَّة والأديان الأخرىٰ فإنَّ (**المَجْمَعَ الفَاتِيكَانيَّ الثَّاني**) «صَنَعَ

انعطافةً بزاوية ١٨٠ درجة»[١]. وأكَّد ذلك القس الكاثوليكي البروفيسور **مايكل مكابي** Michael McCabe -أحد قادة (**جمعيَّة الإرساليات الإفريقيَّة**)، المنظمة التبشيرية الكاثوليكيَّة- الذي يرىٰ أنَّ «**المَجْمَعَ الفَاتِيكَانيَّ الثَّاني** كان أوَّل مَجْمَعٍ مسكونيٍّ في تاريخ الكنيسة، الذي يهتم بجديَّة بعلاقة الكنيسة بأتباع الديانات الأخرىٰ، ويدعو إلىٰ الحِوارِ بين الأديان باعتباره بُعدًا لا يتجزأ من رسالتها»[٢]. ويؤكِّدُ الباحثُ الغربيُّ في الأديان البروفيسور **جون تيل** John Thiel، ورئيس الجمعيَّة اللاهوتيَّة الكاثوليكيَّة الأمريكيَّة، أنَّ التعاليم التقليديَّة **للكنيسة الكاثوليكيَّة** من مفهوم الخلاص وشموليته والموقف تجاه المخالفين، قد تَغَيَّرَت بفضل تعاليم (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)[٣]، وأنَّه يُمكنُ تَقْدِيرُ وفَهْمُ موقفِ الكنيسة الجديد بشكلٍ أَعْمَقَ، من خلال رؤية هذا التطور في السياقِ التاريخيِّ الطبيعيِّ لموقف **الكنيسة الكاثوليكيَّة** السابق العَنِيف والواضح والمباشر من المخالفين.

إنَّ من أَهَمِّ النُّقَاطِ المحوريَّة التي اعتُبِرَت من إنجازاتِ (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، كما يُشير إلىٰ ذلك جملةٌ من

---

(١) see: Peter Phan, Interreligious and Ecumenical Dialogue at Vatican II: Some Rethinking Required, p. 12-13.

(٢) Michael McCabe SMA, Vatican II and Interreligious Dialogue: (Mission for Diversity: Exploring Christian Mission in the Contemporary World), p. 187.

(٣) see: John Thiel, Senses of Tradition: Continuity and Development in Catholic Faith, p. 104.

الباحثين، مُعالجته لمسألة (**خَلاص غير المسيحيين**)، حيث كانت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** طوال تاريخها، وحتىٰ في الأوقات التي كان فيها (**المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني**) يُمارس أعماله، تعتبر أنَّه (**لا خَلاص خارج الكنيسة**)، وقد هَيمَنَت عليها هذه الفكرة[١].

يقول الأب **جوزيف كميل جبارة**: «مسألة خَلاص غير المسيحيين أو ما يُعرف بمسألة الخَلاص الشامل ... هي من أشَدِّ المسائل اللاهوتيَّة تعقيدًا وصعوبة. فالرأي السائد عشيَّة **المَجْمَع الفَاتِيكَانيّ الثَّاني** -دون أن يستأثر بكلِّ مفاصل التفكير اللاهوتي الكاثوليكي- كان يُختَصَر بجملة معَبِّرَةٍ تقول أن (**لا خَلاص خارج الكنيسة** Extra ecclesiam nulla salus). إنَّها الرؤية الإقصائيَّة التي تحصر الخَلاص فقط في كلِّ المنتمين إلىٰ الإطار الكَنَسيِّ دون سواهم ... إذ أقصت عنه [=الخَلاص]، فضلًا عن أتباع الديانات الأخرىٰ، المسيحيين غير الكاثوليك الذين اعتبرتهم منشقِّين عنها». ثم يؤكد الأب **جوزيف كميل جبارة** أنَّ ما قَدَّمه **المَجْمَع** يُعْتَبَرُ ثورة انفصاليَّة عن موقف **الكنيسة الكثوليكيَّة** السابق طوال تاريخها، فـ«لقد جاء **المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني** إذن وأحدث ثورة (**كوبرنيكيَّة**) في **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، بشأن مسألة خَلاص غير المسيحيين، ومنهم المسلمين [كذا]»[٢]. وهكذا، فإنَّ النظرة

---

(١) see: Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, p. 239.

(٢) انظر: الأب جوزيف كميل جبارة، علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيَّة: آفاقٌ وحدودٌ، (واقعُ الحِوارِ الإسلامي المسيحي)، ص: ٣٦-٣٨.

السلبيَّة المُعْلَنَة التي كانت تُشَكِّلُ الوعيَ والخطابَ الكَنَسِيَّ وتُحَدِّد علاقة الكاثوليكيِّ بغيره من الشعوب والأمم والمذاهب والأديان، والتي استمرت لقرونٍ عديدةٍ، حصل لها نوعٌ من التَّغَيُّرِ في منتصف القرن العشرين، كان هذا التَّغَيُّر في السياقِ التاريخي للضَّغْطِ الكبيرِ الذي تَعَرَّضَت له **الكنيسة الكاثوليكيَّة** داخل أوروبا، مع استفحال أمر العَلمانية والإلحاد، وانهيار كثيرٍ من القوىٰ والدول الكاثوليكيَّة، ففي هذه الأجواء صَدَرَت دساتير وقرارات وبيانات (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**)، وأعلن **الفاتيكان** عصرًا جديدًا من العلاقات الإيجابيَّة مع الطوائف غير الكاثوليكيَّة، ومع الأديان غير المسيحيَّة، إلىٰ درجة أنَّه وُصِفَ هذا «الموقف الجديد» من قِبَلِ المنتقدين لموقف **الكنيسة الكاثوليكيَّة** الجديد، من الكاثوليك ومن داخل الكنيسة نفسها، بأنَّه تحولٌ وتراجعٌ غير مقبول (an unacceptable U-turn)، واعتُبِرَ استسلامًا[١].

(١) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 129.

المطلب الخامس
فَحْصُ موقف (المَجْمَعِ الفَاتِيكَانـيِّ الثَّاني)[١] من الـخَـلاص

ولهذا فإنَّه من أجل معرفة وفهم وتقدير هذا الموقف الجديد **للكنيسة الكاثوليكيَّة** من موضوع (**شموليَّة الخلاص**) -الذي مَثَّلَته مرحلة (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**) وما جاء بعدها، والذي وُصِفَ بأنَّه تحوُّلٌ تاريخيٌّ، ومرحلةٌ فاصلةٌ، في موقف **الكنيسة**

---

(١) من المهم ملاحظة أنَّ جميع وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**) قد خُتِمَت بهذا الإقرار: «كل ما أُعْلِنَ في [هذه الوثيقة]، بِجُملَتِهِ وتَفصِيلِهِ، قد نالَ رِضَىٰ الآباء. ونحن، بالسُلطان الرَسوليِّ الذي لنا من المسيح، وبالاتحاد مع الآباء الأجِلَّاء، نُوافقُ عليه، ونُثَبِّتُهُ، ونُقِرُّهُ في الروح القدس، ونأمرُ بأن يُنشر لمجد الله ما تَقَرَّرَ هكذا مَجمَعِيًّا. رومة، قرب القديس بطرس . . . أنا **بولس** أُسقُف الكنيسة الكاثوليكيَّة»، ثم تلا ذلك توقيعات بقيَّة آباء المَجْمَع. انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، نهاية كل وثيقة.

الكاثوليكيَّة تجاه الطوائف المسيحيَّة الأخرىٰ، التي كانت تعتبرهم خارج الكنيسة، وتَنْعَت أتباعها بـ (**المنفصلين**)، وكذلك موقفها من الأديان الأخرىٰ في العَالَم- فإنَّه من الضَّروريِّ الرجوع إلىٰ نصوص وثائق **المَجْمَعِ** نفسها، التي تضمنت (١٦) وثيقة موزَّعَةً ما بين دساتيرَ وقراراتٍ وبياناتٍ[١]، وكذلك ما صَدَرَ بعد **المَجْمَع** من وثائق تُؤكِّد مضامينه وتُعَمِّق معانيه، من أجلِ فَحْصِها وتحليلها، ومن ثَمَّ الوقوف علىٰ حجم وحقيقة التطور والتَّغَيُّر الذي طَرَأَ علىٰ موقف **الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ** التقليديِّ تجاه المخالفين لها.

ومن خلال دراسة نصوص وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**) وما صدر بعدها، نَجِدُ أنَّ الرؤية الفَلْسَفِيَّة تجاه قضيَّة (**شُموليَّة الخَلاص**)، والموقفِ الدِّينيَّ (**الجديد**) **للكنيسة الكاثوليكيَّة** تجاه المخالفين لها، قد أُسِّسَ علىٰ أربعة أركان عقائديَّة أساسيَّة، كما يأتي:

الأول: تَمَسُّك الكنيسة الكاثوليكيَّة بأصولها التي قَرَّرَتها المَجَامِعُ السَّابِقَةُ.

عند فَحْصِ وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**) نَجِدُ أنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** لم تَتَخَلَّ عن أصولها الرئيسة التي قَرَّرَتها

(١) جُمِعَت تلك الدساتير والقرارات والبيانات، وتُرْجِمَعت عن اللاتينية إلىٰ العربيَّة، في عدة إصدارات، منها: كتاب: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، عناية: الأب حَنَّا الفَاخُوري، وكتاب الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، عناية: هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان.

المَجَامِعُ التَّارِيخيَّةُ السَّابِقَةُ، حتىٰ التي عُرِفَت بِشِدَّتِها علىٰ المخالفين لها. ففي مقدمة الوثيقة التي تحمل عنوان: (**الحريَّة الدينيَّة** Dignitatis humanae)، وتحت عنوان: (**حَقُّ الفَرْدِ والجَمَاعَاتِ في الحُريَّةِ الاجتماعيَّةِ والمدنيَّةِ في الشأنِ الدِّينيِّ**)، جاء فيها التأكيد علىٰ أنَّ ما قَدَّمَهُ **المَجْمَعُ** مما يُعتَبَرُ جديدًا ليس في حقيقته إلا امتدادًا للقديم وتأكيدًا عليه، فـ «**المَجْمَعُ الفَاتيكانيُّ**، إذ يزِنُ باهتمامٍ شديدٍ رغباتِ النفوس ويُبَيِّنُ إلىٰ أيِّ حَدٍّ تَتَّفِقُ والحقيقة والعادلة، يستَطْلِعُ تقليد الكنيسةِ المُقَدَّس وتعليمَها فلا يستخرجُ منها الجديدَ إلا وَفْقَ القديم. ولهذا **فالمَجْمَعُ** المُقَدَّسُ يُعْلِنُ أوَّلًا أنَّ الله نفسَهُ بَيَّنَ للجنسِ البشريِّ الطَّريقَ التي إذا سَلَكَها النَّاسُ في خِدْمَتِهِ تعالىٰ، يتمكَّنون من الخَلاصِ والسعادةِ في **المسيح** يسوع. ونحن نؤمنُ أنَّ الديانةَ الحقيقيَّةَ الوحيدةَ قائمةٌ في **الكنيسة الكاثوليكيَّةِ** والرَّسُوليَّة التي وَكَلَ إليها السيدُ **المسيح** أمْرَ نَشْرِها بين جميعِ النَّاس . . . فعلىٰ جميع النَّاس إذن أن يطلُبوا الحقيقةَ ولا سيَّمَا فيما يتعلق باللهِ وكنيستِهِ، حتَّىٰ إذا ما عرَفُوها اعتنقُوها وكانوا عليها مُحافِظين»[(١)]. وأنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّةِ** هي «الديانةُ الحقيقيَّةُ وكنيسةُ **المسيحُ** الواحدة»[(٢)]. وجاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ عقائديٌّ: الوحي الإلهي** Dei Verbum)، ما يُبَيِّنُ الغرض الرئيس

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦٠٧-٦٠٨.

(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦٠٨.

من **المَجْمَعِ**، وهو: «يَعملُ المَجْمَعُ المُقَدَّسُ، كل مرةٍ يُصغي إلىٰ كلمة الله بورعٍ ويُعلنها إعلانًا ثابتًا. ولذلك فهو يقصِدُ، مما يلي من العَرْض، أن يُوضح التعليم الصحيح، عن الوحي الإلهي وتناقُلِه، مُقتَفِيًا آثار كل من المَجْمَعَين **التريدنتي والفاتيكاني الأول**، حتىٰ إذا ما سَمِعَ العَالَمُ كلُّهُ بُشْرَىٰ الخَلاص، آمن بالله، وإذا ما آمن به، وضعَ فيه رجاءَه، وإذا ما وضع فيه رجاءَه، أحبه»[1]. واستمرت جميع وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الثَّاني**) في استخدام نَعْتِ (**المنفصلين**) وإطلاقه علىٰ جميع الطوائف المسيحيَّة غير الكاثوليكيَّة، ففي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**الكَنَائِسُ الشرقِيَّةُ الكاثوليكيَّة** Orientalium Ecclesiarum)، جاء الحديث عن (**أبناءِ الكَنَائِسِ المُنْفَصِلَة**)، ووصفهم بالمنفصلين دومًا، والتأكيد علىٰ أهميَّة انضمامهم إلىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، وما يستلزمه ذلك من الإقرار بالإيمان الكاثوليكي، وتُحذِّرُ الوثيقة **الفاتيكانيَّة** المسيحيين المنفصلين من أن يكون انضمامهم إلىٰ الوحدةِ الكاثوليكيَّة غير نَقِيٍّ أو خَالِصٍ، وذلك بِجَلْبِ الانحرافات والبدع في ممارساتهم الدينيَّة، فـ «الاشتراكُ في الأقداس، إذا أَساءَ إلىٰ وحدةِ الكنيسة، أو كانَ يحتملُ انتحالًا صريحًا للضلال، أو خَطَر الانحراف في الإيمان، أو سَبَبَ عثارٍ أو لا مبالاةٍ في الدِّين، فإنَّه

---

(١) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٩٣، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٢١.

مُحَرَّمٌ بِقُوَّةِ الشريعةِ الإلهيَّة»[1]. وفي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**الحَرَكَةُ المَسْكُونيَّة** Unitatis redintegratio) -تلك الوثيقة التي جاءت من أجلِ توحيد الطوائف المسيحيَّة المنفصلة مع **الكنيسة الكاثوليكيَّة**- اعتبرت الوثيقة أنَّ شَرِكَةَ المسيحيين المنفصلين **للكنيسة الكاثوليكيَّة** شَرِكَةٌ «غير كاملةٍ»، وأنَّ «هذه الكنائس والطوائف المُنْفَصِلة . . . مشوبةٌ بالنقص»، وأنَّ «ما بينهم وبين **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من اختلافاتٍ متنوعةٍ في قضايا عقائديَّة، وأحيانًا نِظاميَّة، أو في شأنِ بنية الكنيسة، يُكَوِّنُ عددًا من العقبات، هي أحيانًا خطيرةٌ جدًا»[2]، وأنَّ أَهَمَّ ما يعوقهم نحو خَلاصهم الحقيقيِّ، أنَّهم «سواء من حيث هم أفراد أو مجتمعون في طوائفهم أو كنائسهم، لا يَنعَمُون بهذِهِ الوحدة التي أرادَ **يسوع المسيح** أن يُؤتيها جميع الذين جَدَّدَ ميلادَهم وأحياهم ليكونوا جسدًا واحدًا لحياةٍ جديدةٍ، والتي يشهدُ لها الكتابُ المُقَدَّسُ وتقليد الكنيسة المُكَرَّمَة. ذلك أنَّه **بكنيسةِ المسيح الكاثوليكيَّة** وحدَها، التي هي وسيلةٌ عامَّةٌ للخَلاص، يمكنُ الحُصولُ علىٰ ملءِ وسائِل الخَلاص. فإنَّ الهيئةَ الرَّسُوليَّة التي **بطرس** رأسُها، هي وحدَها، بحسب إيمانِنا، قد اؤتمِنَت علىٰ جميع غِنىٰ العهد الجديد»[3]. هذا ما يتعلق بموقف **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من

(١) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانِيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٨٢-٥٨٣.

(٢) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانِيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٤٩-٥٥٠.

(٣) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانِيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٥٠، هاينريش =

المسيحيين المُخالفين، أمَّا ما يتعلق بالأديان الأخرىٰ، فقد أكَّد **الفَاتِيكَانُ** أنَّه لا مُجاملة مع الأديان الأخرىٰ علىٰ حساب العقائد الكاثوليكيَّة، فالعقائد تتطلب التسليم الكامل والتَّام بها من غيرِ تحريفٍ أو تنازلٍ، فقد جاء في الوثيقة (La evangelizacion)، وهي عبارةٌ عن خطابٍ وجَّهَهُ البابا **يوحنَّا بولس الثاني** في عام ١٩٧٩م، قال فيه: «لا نستطيع تشويه شخص **يسوع المسيح**، وجعله منحازًا أو مُنَظِّرًا، بتحويله إلىٰ سياسيٍّ أو زعيمٍ، أو ثائرٍ أو مجرد نبيٍّ[١]، . . . وهكذا يتطلب **يسوع** بنمطٍ مميزٍ، خاصٍّ، ليس له شبيه، أن يكون اتِّبَاعُه جذريًا، يشمل الإنسان بكامله وكل النَّاس، ويضم العَالَم والكون بأجمعهما»[٢]. ولهذا يُؤكِّد المطران **كيرلّس سليم بسترس** أنَّ (**المَجْمَعَ الفَاتِيكَانيَّ الثَّاني**) لم يأت من أجل إلغاء النظرة القديمة **للكنيسة الكاثوليكيَّة** تمامًا، ولا من أجل إبطال قَرَارَاتَ المَجَامعَ التي قبله، خصوصًا المتشدد منها مثل: **المَجْمَعِ التريدنتي** (١٥٤٥م-١٥٦٣م) **والمَجْمَعِ الفَاتِيكَانِيِّ الأول**

= دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٨٧.

(١) في هذا التقرير دلالة واضحة علىٰ أنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** لا تزال حتىٰ في موقفها الجديد ترىٰ أنَّ الإسلام ليس دينًا إلهيًّا أنزله الله، بل هو دينٌ مُخْتَرَعٌ بشريٌّ، جاء بعد رسالة المسيح النهائيَّة، وهذا بلا شك يُمَثِّل رفضًا قاطعًا لحقيقة دين الإسلام، ومصدره الإلهيِّ.

(٢) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١١٠٨.

(١٨٦٩م-١٨٧٠م)، بل جاء ليحافظ علىٰ جوهرها ولُبِّها، فـ «هذا أمرٌ هامٌ يجب التَنَبُّه له لدىٰ قراءة النصوص المَجَمَعيَّة في هذا الموضوع». ويضرب المطران **كيرلّس سليم بسترس** بضعة أمثلة تُدَلِّلُ علىٰ كلامه وتؤكده، ومنها: أنَّ (**المَجْمَعَ الفَاتِيكَانيَّ الثَّاني**) لم يُلغ عصمة البابا من الضلال ولا أوَّليَّته، كذلك فإنَّ **المَجْمَعَ** «لم يُلغ التعليم القائل: إنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** هي كنيسة **المسيح** الحقيقيَّة»، ولهذا يستنتج المطران **كيرلّس** أنَّ **المَجْمَع** عجز عن تقديم تعليم شاملٍ، وكذلك جَمَعَ بين عناصرَ مُتناقضةٍ، وخَلُصَ إلىٰ أَنَّ «المَجْمَع لم يَتَخَلَّ عن أيٍّ من عقائد المَجْمَعيْن السابقين»[١]. ويُؤَكِّد ما ذَكَرَهُ المطرانُ **كيرلّس** ما جاء في الوثائق **الفاتيكانيَّة** التي صَدَرَت بعد (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، ومنها مثلًا: الرسالة التي أصدرها البابا **يوحنَّا بولس الثاني** في عام ١٩٩٠م، بعنوان: (Redemptoris missio)، وتَحَدَّثَ فيها عن علاقات **الكنيسة الكاثوليكيَّة** مع الأديان الأخرىٰ، وانتقد بِشِدَّةٍ رِجَالَ الكنيسة واللاهوتيين الذين ذهبوا بعيدًا في تعاطفهم مع أتباع تلك الديانات الأخرىٰ، فأهملوا نتيجة لذلك بذل جهودهم الحثيثة من أجلِ تتغير عقائدهم وتحويلهم إلىٰ **الكاثوليكيَّة**، وأنَّ هذا التسامح قد أدىٰ إلىٰ نتيجة خَطِرَة، وهي انتشار اللا مبالاة بين المسيحيين وعدم اهتمامهم بالتبشير[٢]. يقول البابا **يوحنا بولس**

---

(١) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٢٢-٢٣.

(٢) see: The New York Times International, Wednesday, January 23,1991, p. 4.

الثاني: «أحد أكثر الأسباب جديَّة لعدم الاهتمام بالمَهَمَّةِ التبشيريَّة هو انتشار الاعتقاد بأنَّه لا فرق بين الأديان (Indifferentism)، والذي يُقال -للأسف- إنَّه توجدُ أيضًا بين المسيحيين. إنَّ هذا الاعتقاد يقوم علىٰ وجْهَاتِ نَظَرٍ لاهوتيَّةٍ خاطئة، تتميز بنسبيَّة دينيَّة تؤدي إلىٰ الاعتقاد بأنَّ الأديان مُتَماثِلَة في الصِّحة»[1]. وأكَّدَ البابا **يوحنا بولس الثاني** براءة (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) من مثل هذه الاعتقادات الزَّائِغَة الضَّالة، وأشار، مستخدمًا كلمات البابا **بولس السادس**، إلىٰ أنَّ هناك من المسيحيين من يحتجُّون ببعض «الأعذار التي من شأنها أن تُعِيقَ التبشير، وأنَّ أخبثَ هذه الأعذار هي بدون شكٍّ تلك التي يدعي النَّاس أنَّها تجد الدعم لها في كذا وكذا من تعاليم **المَجْمَعِ [الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني]**»[2]. ولهذا وبِكُلِّ ثِقَةٍ يقول البابا **بندكت السادس عشر** Benedict XVI: «**المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني** . . . حَافَظَ وعَمَّقَ طبيعة [إيمان الكنيسة] الداخلي وهويتها الحقيقيَّة. فالكنيسة، قبل **المَجْمَعِ** كما بعده، هي الكنيسة نفسها، واحدة ومقدسة وجامعة ورسوليَّة، في رحلة عبر الزمن»[3].

---

(١) www.vatican.va/content/john-paul-ii/en/encyclicals/documents/hf_jp-ii_enc_07121990_redemptoris-missio.html

(٢) www.vatican.va/content/john-paul-ii/en/encyclicals/documents/hf-jp-ii_enc_07121990_redemptoris-missio.html

(٣) Michael Lacey and Francis Oakley, The Crisis of Authority in Catholic Modernity, p. 102.

الثاني: الكنيسة الكاثوليكيَّة هي التي تُمَثِّل الحقَّ الكاملَ والخير التَّامَ.

تُؤَكِّدُ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من خلال جميع وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) أنَّ الحقَّ الكاملَ والخيرَ التَّامَ لم يوجد في أيِّ دينٍ أو مذهبٍ سوىٰ في دين **المسيح** وفي كنيسته **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، فقد جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ عقائديٌّ: الوحي الإلهي** Dei Verbum)، في **الفصل الأول** تحت اسم: (**الوَحْيُ الإلهيّ في ذَاتِهِ**)، بيان انفراد **الكاثوليكيَّة** بِكَمَالِ الحقِّ، وتَمَامِ الرِّسَالَةِ الإلهيَّةِ، التي لا توجد في غيرها. فقد جاء تحت عنوان: (**مُقَومات الوحي**)، ما نَصُّهُ: «لقد حَسُنَ لدىٰ الله، لِفَرطِ حكمته ومحبته، أن يُوحي بذاته ويُعلن عن سِرِّ مشيئته، من أنَّ البشر يبلغون الآب، في الروح القدس، **بالمسيح**، الكلمة المتجسدة، فيصبحون شُركاءَه في الطبيعة الإلهيَّة ...[ف] الحقيقة الكاملة، الناجمة عن المكاشفة بالله وبخَلاص الإنسان، لَمْ تتجلَّ لنا ببهاء، كما تَجَلَّت في شخصِ **المسيح**، الذي هو وسيط كلِّ الوحي وكمالُه في آنٍ واحدٍ»[١]. وتحت عنوان: (**المسيح هو كمال الوحي**)، جاء بيان أنَّ الله كان يتكلم مع البشريَّة بواسطة

---

(١) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٩٤، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانَات، ص: ١٢٢.

الأنبياء البشر، لكنَّه في الأيام الأخيرة قَرَّرَ أن يُرسل «ابنه، الكلمة الأزلي، الذي يُنير كل البشر . . . فجاء **يسوعُ المسيح**، كلمةً مُتَجَسِّدًا، وبشرًا رَسُولًا إلىٰ البشر»، ولأجل هذا -بحسب وثيقة **المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني** هذه- ففي مجِيئِه كان كمالُ الرِّسَالةِ الإلهيَّةِ وتَمَامُ المَهَمَّة السَّمَاويَّة، ورسالته أبديَّة ولا دين سيأتي بعده، ولا خَلاص خارج دينه الحق، «[فـ]كل ما قام به **المسيح** من تدابير خلاصيَّة هو العهدُ الجديدُ النهائي. ولذلك فهو غيرُ زائلٍ أبَدًا، ولن يُرْقَبَ بعدَه ظهورٌ إلهيٌّ آخر[١]، إلىٰ أن يتجلَّىٰ ربُّنا **يسوع المسيح** في مجده»[٢]. وفي **الفصل الثاني** تحت اسم: **(تَنَاقُل الوحي الإلهيّ)**، ورد تحت عنوان: **(الرُّسُلُ وخلفاؤهم كرزوا بالإنجيل)**، ما يُبَيِّن أنَّ الحقَّ قد اكتمل في رسالة **المسيح**، ولذا فإنَّ المَهَمَّة الواجبة المتبقيَّة هي نشر رسالته والتبشير بها بين الأمم. فقد جاء ما نَصُّهُ: «جاءَ السيِّدُ **المسيح**، الذي فيه يكتملُ كلُّ وحيِ الله العلي، وحَقَّقَ في حياته وأعلنَ بلسانه الإنجيلَ الذي مَهَّدَ له الأنبياءُ بمِواعيدهم، ثم أمر رُسُلَه أن يُبَشِّروا النَّاس أجمعين بهذا الإنجيل، منبعًا لكلِّ حقيقةٍ خَلاصيَّةٍ، ومصدرًا لكلِّ

---

(١) هنا أيضًا رَفضٌ واضحٌ من قِبَلِ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** لدين الإسلام الذي جاء بعد **المسيح**، وتكذيبه بنفي مصدره الإلهي، وبأنَّه ليس دينًا من عند الله، وأنَّ محمَّدًا ﷺ ليس نبيًّا من الله أرسله بالوحي ودين الحقِّ إلىٰ النَّاس.

(٢) انظر: هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٩٥، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٢٣.

نظام خُلُقِيٍّ»[1]. وفي **الفصل الخامس** تحت اسم: **(العَهْدُ الجَديد)**، ورد تحت عنوان: **(سُمُوُّ العهد الجديد)**، ما يؤكد أنَّ الحقَّ والخَلاصَ إنَّما جاء حَصْرًا في كُتُبِ العَهْدِ الجَدِيدِ الخاصَّةِ بالديانةِ المسيحيَّة، **والكاثوليكيَّة** علىٰ وجه الخصوص، وأنَّ مَهَمَّة **الكنيسة الكاثوليكيَّة** تَتَمَثَّلُ في حَمْلِ النَّاسِ علىٰ الاعتراف بألوهيَّة **المسيح**، وتنصيرهم وإخضاعهم تحت سلطانها. فقد جاء ما نَصُّهُ: «إنَّ كلمة اللهِ، القدرة الإلهيَّة لخلاصِ كل مؤمن، قد ظهرت بأسمىٰ مظاهرها في كتبِ العهد الجديد، وأبدت فيها قوَّتَها . . . لأنَّه [=**المسيح**] وحدَهَ يَملكُ كلامَ الحياة الأبديَّة، إنَّ هذا السرَّ لم يُعلن لبني البشر، في الأجيال السابقة، كما أعلنه أخيرًا الروحُ القدسُ لرسلِهِ القديسين وأنبيائه، لكي يُبشِّروا بالإنجيل، ويُوقظوا الإيمان في قلوب البشر، ويحملوهم علىٰ الاعتراف **بيسوع المسيح** ربًّا ومسيحًا، ويضمُّوا المؤمنين في كنيسةٍ واحدةٍ. إنَّ كل هذه الأمور لم ترد فيها شهادةٌ إلهيَّةٌ إلا في كتبِ العهدِ الجديدِ، وهي شهادةٌ لا تَزول»[2]. وفي الوثيقة التي تحمل عنوان: **(الكَنَائِسُ الشرقِيَّةُ الكاثوليكيَّة** Orientalium Ecclesiarum**)**، جاء في

---

(١) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٩٦، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٢٥.

(٢) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١٠٠٢-١٠٠٣، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٣٤.

(التوطئة) تنبيه المسيحيين غير الكاثوليك إلىٰ أنَّ «المسيح الرب أنشأ كنيسة واحدةً لا غير»، ولذلك فإنَّه يجب علىٰ الجميع أن يتوجه إلىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أي يتوجهون إلىٰ «كنيسةٍ للهِ واحدةٍ، منظورةٍ، جامعةٍ حقًّا، قد أُرسلت إلىٰ العَالَم كُلِّهِ لِيَهتدِيَ إلىٰ الإنجيل فيجدَ خَلاصَه لمجدِ الله»[1]. وفي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**الحَرَكَةُ المَسْكُونيَّة** Unitatis redintegratio)، وفي **الفصل الأول** الذي باسم: (**المَبَادِئُ الكَاثولِيكيَّة للحَرَكَةِ المَسْكُونيَّة**)، وتحت عنوان: (**العِلاقاتُ بَينَ الإخوة المُنْفَصِلين والكَنِيسَة الكَاثولِيكيَّة**)، جاء التأكيد مرارًا واستمرارًا علىٰ نعت الطوائف المسيحيَّة المخالفة بـ «**المنفصلين**»، وأنَّ الأصلَ التَّامَ الذي انفصلوا عنه هو «**الكنيسة الكاثوليكيَّة** التامَّة»، ومع ما تبديه الكنيسة **الأم** من احترامٍ للمسيحيين المخالفين، واعترافٍ بأنَّه يُمكن أن يوجد لديهم بعض الخير «ممَّا له قيمة كبيرة، خارج نِطَاقِ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** المَنظُورِ»، إلا أنَّها تَعْتَبِرُ شَرِكَتهم لها «غير كاملةٍ»، و«لا جَرَمَ أنَّ ما بينهم وبين **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من اختلافاتٍ متنوعةٍ في قضايا عقائديَّة، وأحيانًا نِظاميَّة، أو في شأنِ بنية الكنيسة، يُكَوِّنُ عددًا من العقبات، هي أحيانًا خطيرةٌ جدًا»، وعليه وبكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ فإنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** تعتقد **أنَّ** «هذه الكنائس والطوائف المُنْفَصِلة . . .مشوبةٌ بالنقص»[2]. وفي

(١) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٤٥-٥٤٦.

(٢) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٤٩-٥٥٠.

الوثيقة التي تحمل عنوان: (**الحريَّة الدينيَّة** Dignitatis humanae)، وتحت عنوان: (**حَقُّ الفَرْدِ والجَمَاعَاتِ في الحُريَّةِ الاجتماعيَّةِ والمدنيَّةِ في الشأنِ الدِّينيِّ**)، جاء فيها التأكيد علىٰ أنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّةَ** هي «الديانةُ الحقيقيَّةُ وكنيسةُ **المسيحِ** الواحدة»[1]. وتحت عنوان: (**حُريَّةُ الكَنِيسَة**)، جاء التأكيد علىٰ أنَّ «**الكنيسة الكاثوليكيَّة** هي، بمشيئةِ المسيحِ، مُعَلِّمَةُ الحقيقةِ، ومُهِمَّتُها أن تَعرِضَ الحقيقةَ التي هي المسيح وتُعَلِّمَها في أصالةٍ»[2].

الثالث: الكنيسة الكاثوليكيَّة معصومة في تعاليمها.

تُؤكِّدُ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من خلال وثائق **المَجْمَعِ** أنَّ تعاليمها وقيمها وأخلاقها وعقائدها معصومة، وكذلك البابا ومن معه من الأساقفة. ففي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ عقائِديٌّ: الكنيسة** Lumen gentium)، جاء تحت عنوان: (**وظيفة الأساقفة التعليميَّة**)، التذكير بما تمتاز به **الكنيسة الكاثوليكيَّة** في عقيدتها وأخلاقها عن بقية الأديان، وبما يمتاز به الأساقفة عن غيرهم من البشر؛ إذ إنَّهم «إذا اتفقوا علىٰ التعليم، بوجهٍ صحيحٍ، بأنَّ عقيدةً تتعلقُ بالإيمان والآداب تُلزمُ بوجهٍ مُطلق، فتعليمهم إذ ذاك تعليمُ **المسيح** يُعَبِّرون عنه بِعِصمة . . . إنَّ هذه العِصمة التي شاء الفادي الإلهي أن يُمِدَّ بها كنيستَه لكي تُحَدِّدَ التعليم

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦٠٨.

(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦١٩-٦٢٠.

المتعلِّقَ بشؤون الإيمان والآداب . . . وهذه العِصمة يتمتَّعُ بها الحبر الروماني [=البابا]، رئيسُ هيئة الأساقفة، بِحُكم مهمته بالذات، بصفةِ كونِه راعيًا ومعلمًا أعلىٰ لجميع المؤمنين ومُكلَّفًا تثبتُ أخوته في الإيمان، يُعلنُ، بتصميم مُطلقٍ، مادةً عقائديَّةً تتعلَّقُ بالإيمان والآداب . . . لا تقبلُ التعديلَ لأنَّها صدرت بمعُونةِ **الروح القدس** التي وُعِدَ بها في شخص القديس **بطرس**، ولا يعوزُها من ثَمَّ مُوافقة الغير، ولا يُمكن أن تكونَ موضعَ استئنافٍ إلىٰ محكمةٍ أخرىٰ. ذلك بأنَّ الحبرَ الروماني لا يُصدرُ الحُكمَ بصفةِ كونه شخصًا مُنْفَرِدًا، وإنما يَعرضُ عقيدةَ الإيمان الكاثوليكي ويذودُ عنها بصفةِ كونِه للكنيسة الجامعةِ هو المعلمَ الذي يستقّرُ فيه، بصفةٍ فريدةٍ، امتيازُ العِصمة الذي هو امتيازُ الكنيسة بالذات . . . فعندما الحبر الروماني، أو هيئةُ الأساقفة بالاتحاد معه، يُصدِران تحديدًا فإنَّما يُصدِرَانه طبقًا للوحي بالذات الذي يجبُ علىٰ الجميع أن يأخذوا به ويتطابقوا معه . . . وهذا الوحي محفوظٌ بدقَةٍ فائقةٍ في الكنيسة، ومعروض بأمانةٍ في نورِ روحِ الحقيقة»[(١)]. وفي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ عقائديٌّ: الوحي الإلهي** Dei Verbum)، وفي **الفصل الثالث** تحت اسم: (**إلهامُ الكِتابِ المُقَدَّسِ وتَفسيرُهُ**)، ورد تحت عنوان: (**إلهامُ الكِتابِ المُقَدَّسِ وحَقِيقَتُهُ**)، ما يؤكد عصمة الكتاب المُقَدَّس الخاصِّ **بالكنيسة الكاثوليكيَّة**، وأنَّه منبع الحقيقة وطريق خَلاص

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦٥-٦٦.

البشريَّة. فقد جاء ما نَصُّهُ: «إنَّ الحقائق التي أوحىٰ بها الله، وتحملُها أسفار الكتاب المُقَدَّس إلىٰ النَّاس، قد دُوِّنَت بإلهامٍ من الروح القدس. والكنيسة أُمُّنا المُقَدَّسة، بالاعتماد علىٰ إيمانِ الرُّسُلِ، تعتبر كل الأسفار في كلا العهدين القديم والجديد قانونيَّةً ومُقَدَّسَةً بِكُلِّ أجزائها، ذلك أنَّها كُتِبَت بإلهام الروح القدس، ولذا فهي من وضع الله . . . وبما أنَّ كلَّ ما أكَّدَهُ المؤلفون الملهَمون وواضعُو الكتب المُقَدَّسَة يجب اعتبارُه صادرًا من الروح القدس، وَجَبَ الاعتراف أنَّ أسفار الكتاب تُقَدِّمُ تعليمًا ثابتًا وأمينًا ومعصومًا عن الخطأ حول الحقيقة التي أراد اللهُ أن تُدَوَّنَ في الأسفار المقدسة من أجل خَلاصنا. ولهذا فإنَّ الكتاب كلَّه قد أوحىٰ به الله»[١]. وفي الوثيقة التي هي عبارةٌ عن بيانٍ عَقَدِيٍّ صَدَرَ عن (**مَجْمَع عقيدة الإيمان** Mysterium ecclesiae)[٢]، عام ١٩٧٣م **بروما**، وحمل عنوان: (**إعلانٌ: دفاعًا عن العقيدة الكاثوليكيَّة في الكنيسة ضد أخطاءٍ مُحَدَّدَةٍ في اليوم الحاضر**)، جاء فيه تحت عنوان: (**عصمة سلطة الكنيسة التعليميَّة**): «لقد أراد **المسيح** أن تُزَوَّد السلطة التعليميَّة للرعاة الذين وكل إليهم مَهَمَّة تعليم الإنجيل لكل شعبه، ولكل الأسرة البشريَّة، بموهبة مناسبة

---

(١) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٩٩، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٢٩-١٣٠.

(٢) كَتَبَهُ محافظ المَجْمَع **فرانجو كاردينال سيبر** Franjo Cardinal Seper، وسكرتير الأب **جيروم هامر** Jerome Hamer، وصَادَقَ عليه وأقَرَّهُ البابا **بولس السادس**.

من العصمة في أمر الدِّينِ والأخلاقِ . . . [و]الرعاة عندما يقومون بمهمتهم، يستفيدون من مساعدةِ الرُّوحِ القُدُس، التي تبلغ أوجها عندما يُعَلِّمُون شعب الله، بحيث يعرضون بقوة مواعيد **المسيح لبطرس** وللرسل الآخرين، عقيدة معصومة حتمًا من الضلال»[1].

وتحت عنوان: (**هِبَةُ العِصْمَةِ للكنيسةِ يَجِبُ أن لا تُحَد**)، جاء: «بما أنَّ العقائد كلها مُوحىٰ بها فلا بد من الإيمان بها إيمانًا إلهيًّا واحدًا»[2].

الرابع: لا خَلاص للبشريَّة خارجَ الكنيسة الكاثوليكيَّة.

تُؤكِّدُ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من خلال وثائق مَجْمَعِها أنَّ الخَلاصَ والنَّجاةَ لا يكونان إلا من خلال **يسوع المسيح** وحده، وذلك لا يكون إلا «من خلال كنيسة المسيح **الكاثوليكيَّة** وحدها»، وأنَّ الكنيسة **الكاثوليكية** إن قَبِلَت بالمسيحيين غير **الكاثوليك**، فإنَّها تفعل ذلك لكنَّها تعتبر الشراكة معهم «غير كاملة»، وإنَّ هذه الانقسامات الحاصلة بين المسيحيين هي في حقيقتها «فضيحة»، و«تتعارض مع إرادة الله»، ومن ثَّمَّ فإنَّ الواجبَ علىٰ كُلِّ مسيحيٍّ، عقيدته تخالف أُسُسَ الاعتقاد الكاثوليكي، أن يعود إلىٰ وحدةِ الكنيسة وحضنها، من خلال فعل «**الاهتداء**» والتحول عن

---

(١) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١٠٩١.

(٢) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١٠٩٢.

عقيدته الحاليَّة إلىٰ العقيدة الوحيدة الحقَّة، وهي العقيدة الكاثوليكيَّة[١]. ففي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ عقائِديٌّ: الكنيسة** Lumen gentium)، جاء تحت عنوان: (**المؤمنون الكاثوليكيُّون**)، ما يُؤكِّد أنَّه لا خَلاص خارج **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ولذا تم تَوجيه الرسالة الأولىٰ من قِبَلِ **المَجْمَعِ** إلىٰ «المؤمنين الكاثوليك» لتثبِّتَهم علىٰ إيمانهم، ولِتُبَرهِنَ لهم «أنَّ هذه الكنيسة [=**الكاثوليكيَّة**] . . . ضروريَّة للخلاص»[٢]، والسبب في ذلك «بأنَّ **المسيح** وحده هو وسيطُ الخَلاصِ وصِراطُه، هو الحاضرُ لأجلنا في جسده الذي هو الكنيسة . . . فإنَّ الذين لا يجهلون أنَّ الله قد أنشأ، **بيسوع المسيح**، **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أداةً ضروريَّة، ثمَّ يرفضون الدُّخولَ إليها أو الثبات فيها، لا يستطيعون سبيلًا إلىٰ الخَلاص»[٣]. وجاء أيضًا أنَّه «ليس إلا ربٌّ واحدٌ، وإيمانٌ واحدٌ، ومعموديَّةٌ واحدةٌ . . . فليس إلا خَلاصٌ واحدٌ، ورجاءٌ واحدٌ، ومحبَّةٌ واحدةٌ لا تتجزأ»[٤]. وفي **الفصل الخامس** من هذه الوثيقة الذي يحمل اسم: (**الدَّعوةُ العَامةُ إلىٰ القَداسَة في الكنيسةِ**)، جاء في (**التوطئة**) ما يُبَيِّنُ أنَّ منزلة الكنيسة مُقَدَّسَة

---

(١) see: Peter Phan, Interreligious and Ecumenical Dialogue at Vatican II: Some Rethinking Required, p. 13.

(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٠.

(٣) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثوليكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٣٨، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٠.

(٤) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٧٥-٧٦.

دومًا، حيث تقولُ الوثيقةُ: «إنَّ الكنيسةَ التي يُفَسِّرُ **المَجْمَعُ** المُقَدَّسُ سِرَّها هي، في نظر الإيمان، مُقَدَّسَةٌ علىٰ الزمن»[1].

وفي **الفصل السابع** الذي يحمل اسم: (**طابع كنيسةِ الأرض الأسخطولوجي واتحادُها بكنيسة السَّماء**)، جاء تحت عنوان (**الشَّركةُ بين كنيسة السَّماء وكنيسة الأرض**)، تأكيدٌ بأنَّه لا يوجد وسيطٌ حقيقيٌّ بين الله وبين النَّاس إلا من خلال ما تعتقده **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، فـ «الوسيط الوحيد بين الله والنَّاس، **المسيح يسوع**»[2]. وجاء التأكيد نفسه في **الفصل الثامن** الذي يحمل اسم: (**الطُّوباويَّة مريم أُمُ الله في سِرِّ المسيح والكنيسة**)، وتحت عنوان (**العذراء الطوباويَّة والكنيسة**): «إنَّه واحدٌ وسِيطُنا، كما يقول الرسول: (**إذ ليس سوىٰ إلهٍ واحدٍ، وليس أيضًا إلا وسيطٌ واحدٌ بين الله والنَّاس، المسيح يسوع**»)[3]. وفي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ رعائيٌ: الكنيسة في عالم اليوم** Gaudium et Spes)، جاء فيها أنَّ **المَجْمَعَ الفَاتِيكَانيَّ الثَّاني** «يجعلُ نُصْبَ عينيه عَالَمَ البشرِ، أي عموم الأسرة البشريَّة مع عُموم ما يُحيط بها من مقومات البيئة . . . عالمٌ هو في عقيدة المؤمنين وليدُ مَحَبَّةِ الخالقِ وحفيظها، سقطَ في عُبوديَّة الخطيئةِ ولكنَّ **المسيحَ** قد حَطَّمَ بالصليب والقيامة شَوْكَةَ الشِّرِّير وحرَّرَهُ

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٨٤.
(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٠٠.
(٣) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١١٠.

لكي يَتَحَوَّلَ وفاقًا لقَصْدِ الله، ويبلُغ كمالَ وجودِه»[١]. وجاء تحت عنوان: (**تساؤلات الجنس البشري العميقة**)، ما يُؤَكِّدُ أنَّه لا طريق إلىٰ الهداية في هذا العصر وأزماته إلا من خلال ما تعتقده **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، وأنَّه «ليس تحتَ السماء اسمٌ آخرُ [غير **المسيح**] أُعطيَ للنَّاس به ينبغي أن يَخْلُصوا»، وهذا الإيمان الراسخ في حَصْرِيَّة الخَلاص في **المسيح** نابعٌ من أنَّ «الكنيسة تُثبِتُ أنَّ وراء التَغيِيرات كُلِّها أمورًا كثيرةً لا تَتَغَيَّرُ، أمورًا أساسُها وقِوامُها في **المسيح** الذي هو هو في الأمس واليوم، وإلىٰ الأبد»[٢]. وتحت عنوان: (**العَونُ الذي تريد الكنيسة أن تُقَدِّمه لكلِ إنسانٍ**)، شَرَحَت الوثيقة دور **الكنيسة الكاثوليكيَّة** في جَعْلِ الأمم غير **الكاثوليكيَّة** أكثر إنسانيَّة، وقد أكَّدَت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أنَّها تعمل علىٰ مساعدة الإنسان من خلال تطوير وإكمال شخصيَّته، وأنَّ ذلك لا يكون إلا من خلال **يسوع المسيح**، «وذلك بالوحي في **المسيح** ابنِه الذي صارَ إنسانًا. فمن اتَّبَعَ **المسيح**، الإنسانَ الكاملَ، صار إنسانًا أكثرَ ممَّا كان»، فبهدايتهم إلىٰ المسيحيَّة يُصبحُ النَّاس أكثرَ إنسانيَّة من قبل، ومهما حاول الإنسان أن يبحث عن الكمال في أي دِينٍ فلن يجده، لأنَّه «ما من شريعةٍ بشرِيَّةٍ تَستطيعُ أن تَجعلَ الكرامةَ الشخصيَّة والحُريَّةَ في مأمنٍ من الضَّياعِ كما يَفْعَلُهُ إنجيلُ **المسيح** الذي أُودِعَ **الكنيسة**»، وأنَّ كرامة وكمال الإنسان لا يكون

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٢٠٠.

(٢) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٢٠٩.

إلا من خلال «تشرب روح الإنجيل والاحتراز من كُلِّ نوعٍ من أنواع الاستقلال الذاتي الزائف»[1]. وتحت عنوان: (**المسيحُ الألف والياء**)، أكَّدت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أنَّ «**المسيح** هو خاتمة تاريخ البشر»، وأنَّه «محورُ الجِنس البشري»، وأنَّه «عندما تُساعدُ الكنيسةُ العَالَمَ وعندما تتقبَّلُ منه المُساعدةَ إنَّما تَنشُدُ غايةً واحدةً هي أن يأتي ملكوتُ الله وأن يكونَ الخَلاصُ لِجِنْسِ البشرِ كُلِّه»[2]. وفي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**وَسَائِل الإعْلامِ الاجْتماعيِّ** Inter mirifica)، وفي **الفصل الأول** الذي يحمل اسم: (**تَعْلِيمُ الكَنِيسَة في هذهِ المَادَّة**)، وتحت عنوان: (**واجِبَاتُ الكَنِيسَة**)، جاء التأكيد علىٰ أنَّ طريق الخَلاص يكون عَبْرِ الكنيسة، فـ «تَرىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من وَاجبها وقد أنشَأها **المسيح** لتؤتيَ جميعَ النَّاسِ الخَلاص . . .»[3]. وفي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**الحَرَكَةُ المَسْكُونيَّة** Unitatis redintegratio)، وفي **الفصل الأول** الذي باسم: (**المَبَادِئُ الكَاثولِيكيَّة للحَرَكَةِ المَسْكُونيَّة**)، وتحت عنوان: (**العِلاقاتُ بَينَ الإخوة المُنْفَصِلين والكَنِيسَة الكَاثولِيكيَّة**)، جاء تأكيد أنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** مع أنَّها ترىٰ أنَّ طوائف المسيحيين المخالفين لها «لا تَخلُو ألبتة . . . من المعنىٰ والقِيمةِ

---

(١) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٢٤٣-٢٤٥، هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١٠٤٧-١٠٤٨.

(٢) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٢٥١.

(٣) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٩٢.

في سِرِّ الخَلاص»، إلا أنَّه يعوقها ما هو أهم نحو خَلاصهم الحقيقيِّ، لأنَّهم «لا يَنعَمُون بهذهِ الوحدة التي أرادَ يسوع **المسيح** أن يُؤتيها جميع الذين جَدَّدَ ميلادَهم وأحياهم ليكونوا جسدًا واحدًا لحياةٍ واحدةٍ . . . ذلك أنَّه **بكنيسةِ المسيح الكاثوليكيَّة** وحدَها، التي هي وسيلةٌ عامَّةٌ للخَلاص، يمكنُ الحُصولُ علىٰ ملءِ وسائِل الخَلاص. فإنَّ الهيئةَ الرَّسُوليَّة التي **بطرس** رأسُها، هي وحدَها، بحسب إيماننا، قد اؤتمِنَت علىٰ جميع غِنىٰ العهد الجديد»[1]. وفي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**نَشَاطُ الكَنِيسَةِ الإرْسَاليُّ** Ad Gentes)، وفي **الفصل الأول** الذي يحمل اسم: (**المَبَادِئُ العَقَائِديَّةُ**)، وتحت عنوان: (**قَصْدُ الآب**)، جاء التأكيد علىٰ هَويَّة **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، وأنَّ الخَلاصَ الحقَّ والدِّينَ الحقيقيَّ هو في «**المسيح يسوع** [الذي] أُرسِلَ إلىٰ العَالَم وسيطًا حقيقيًّا بين اللهِ والبشر»[2]. وتحت عنوان: (**دَواعي النَّشَاط الإرسَاليّ وضَرُورَتُه**)، تؤكد الوثيقة أنَّه لا خَلاص خارج دين **يسوع المسيح**، «إنَّ دَواعي النَّشاط الإرساليّ كامنةٌ في إرادةِ الله، الذي **يريدُ أنَّ جميع النَّاس يَخْلُصونَ ويبلغُونَ إلىٰ معرفة الحقِّ، لأنَّ الله واحدٌ، والوسيط بين الله والنَّاس واحدٌ، الإنسانُ يسوعُ المسيح،**

---

(١) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٥٠، هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٨٦-٩٨٨.

(٢) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٤٨٧-٤٩٠.

الذي بذَل نفسَه فداءً عن الجميع، **وما مِن خَلاصٍ بأحدٍ غيرِهِ.** فيجب إذن أن يُقْبِلَ عليه الجميعُ كما يتجلَّىٰ في كرازةِ **الكنيسة**، وأن ينضمُّوا بالمعموديَّةِ إليه وإلىٰ **الكنيسة** التي هي جسدُه . . . ومن ثَمَّ فإنّ الذين لا يجهلُون أنَّ الله قد أنشأ، **بيسوع المسيح**، الكنيسةَ الجامعةَ أداةً ضَروريةً ثم يرفُضون الدخولَ إليها أو الثَّباتَ فيها، **لا يستطيعونَ بلوغَ الخَلاص** . . . [فهذا] الإيمان الذي يستحيلُ إرضاءُ اللهِ بدونه»[١].

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٤٩٦-٤٩٧.

المطلب السادس
شروط الحصول على الخَلاص
حَسْبَ (المَجْمَعِ الفَاتِيكَانـيِّ الثَّاني)؟

بناءً علىٰ الأُسس والأصول والمبادئ الأربعة السابقة التي قَرَّرَها **المَجْمَعُ**، وَضَعَت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** جملة من الشروط التَّوضيحيَّة التي من خلالها ستحصل الفئة التي تَجهل رسالة **يسوع المسيح** الخَلاصيَّة علىٰ (**تدبير الخَلاص**) أو (**خُطَّة الخَلاص**)، فهذا الامتياز لا بُدَّ له من عدة اشتراطات أشار إليها **المَجْمَعُ**، وبَيَّنَهَا في مواضعَ عديدة مُتَفَرِّقَة، وهي:

أولًا: أن يكون طالبًا للحقِّ بصدقٍ باحثًا بِجِدٍّ عن الله مُتَشَوِّقًا إلىٰ هدايته ونعمته.

ثانيًا: أن يكون جاهلًا -من غيرِ تَعَمُّدٍ منه- بالدِّين الحقِّ المُتَمَثِّلِ في **المسيحيَّة الكاثوليكيَّة**. فقد نَاقَشَ **الدستور العقائِديُّ** (**الكنيسة** Lumen gentium) مصيرَ أتباع الديانات الأخرىٰ، تحت

عنوان: (**الغير المسيحيين** [كذا])، ومما جاء فيه: «الذين، علىٰ غير ذنبٍ منهم، يَجْهَلون إنجيل **المسيح** وكنيسته، ويَطلبون مع ذلك الله بقلبٍ صادقٍ، ويجتهدون، بنعمته، أن يُتَمِّمُوا في أعمالهم إرادَتَهُ كما يُمليها عليهم ضميرهم، فهؤلاء **يُمكنهم** أن ينالوا الخلاصَ الأبديَّ»[1].

ثالثًا: هؤلاء الذي يجهلون الحقَّ من غير عَمْدٍ إنَّما يحصلون علىٰ إمكانيَّة الخلاص لا الخلاص ذاته، ولهذا كان **المَجْمَع** دقيقًا للغاية في صياغة عباراته، حيث تَمَّ صياغة عبارة الوثيقة، الخاصَّةِ بهؤلاء الذي يجهلون الحقيقة بلا ذنبٍ منهم ويرغبون في هِدَايةِ الله، هكذا: «بيد أنَّ تدبيرَ الخلاص يشمل ... إلخ»[2]، ولم تكن الصياغة هكذا: «بيد أنَّ الخلاص يشمل ... إلخ». فالذي يشمل هذه الفئة المُعَيَّنَة علىٰ وجه التحديد هو (**تدبير الخلاص**) وليس الخَلاص نفسه، أي أنَّ الله يقوم بتدبيراتٍ مُعَيَّنَةٍ خاصَّةٍ بهؤلاء الذين يجهلون الحقيقة الكاملة، فيقودهم بِطُرُقِهِ السرِّيَة إليها (=**الكاثوليكيَّة**). ولهذا يقول اللاهوتي الكاثوليكي **جيرالد جلين أوكولينز اليسوعي**: «الاعتراف بأنَّ

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٢، هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٤٠.

(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٢، هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٤٠.

نعمة الله موجودة (**خارج الكنيسة**)، لا يعني بالضرورة أنَّ الإيمان والخَلاص متاحان (**خارج الكنيسة**»)[1].

رابعًا: ومن أجلِ الارتقاء من مرحلة (**إمكانيَّة الخَلاص**) إلىٰ (**الخَلاص ذاته**)، من خلال تدابير الخلاص الإلهيَّة، فإنَّ عليهم بذل طاقتهم في سبيل معرفة الحقِّ، فإنَّ ما فيهم من استقامة، وطلبٍ صادقٍ للحقِّ، وبحثٍ حثيثٍ عنه، وقيمٍ رشيدة، ليست كافيةً بذاتها، إنَّما هي الخطوة الأولىٰ المُمَهِّدَةُ للإنجيل، فإن هم فعلوا ذلك مَدَّت لهم العناية الإلهيَّة يدها لهدايتهم وقبولهم الإيمان. والوثيقة تُبَيِّن ذلك بوضوحٍ حيث تقول: «يجتهدون، لا بِمَعْزَلٍ عن مؤازَرة النعمةِ، أن يسلكوا مسلَكًا مستقيمًا، فإنَّ العناية الإلهيَّة لا تَحبِسُ عنهم المُساعدات الضروريَّة لخَلاصهم. ذلك بأنَّ كُلَّ ما فيهم من صلاحٍ وحقٍّ هو في نَظَرِ الكنيسة تمهيدٌ للإنجيل، وموهبةٌ من ذاك الذي يُنيرُ كلَّ إنسانٍ [=**المسيح**] لكي تكون له الحياةُ أخيرًا»[2].

خامسًا: الوثيقة واضحةٌ جدًا في مسألة (**الخَلاص ذاته**)، فهو لم يكن ولا يُمكن أن يكون أبدًا إلا من خلال إيمان **الكنيسة الكاثوليكيَّة** فقط، ومن يرفضون ذلك عن علمٍ ودِرَايَةٍ فلا خلاص

---

(١) Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 41.

(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٢-٥٣، هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٤٠.

لهم. تقول الوثيقة نفسها: «الكنيسة هي الحَظِيرةُ التي إنَّما **المسيحُ** بابُها الذي لا بابَ سواه ولا بُدَّ منه»[1]، و«ذلك بأنَّ المسيح وحده هو وسيطُ الخلاصِ وصِراطُه، هو الحاضرُ لأجلنا في جسده الذي هو الكنيسة . . .ومن ثَمَّ فإنَّ الذين لا يجهلون أنَّ الله قد أنشأ، **بيسوع المسيح، الكنيسة الكاثوليكيَّة** أداةً ضروريَّةً ثمَّ يرفضون الدُّخول إليها أو الثباتَ فيها، لا يستطيعون سبيلًا إلىٰ الخلاص»[2].

سادسًا: وهنا يأتي دور **الكنيسة الكاثوليكيَّة** ومُساهمتها الفَعَّالة في (**تدبير الخلاص**) لهذه الفئة المُحَدَّدة، غير الجاحِدَةِ بالحقِّ عَمْدًا، علىٰ وجهِ الخصوصِ، من خلال التبشير بينهم بالإنجيل، وتسهيل عملية الدلالة علىٰ الحقِّ ومن ثَمَّ نيل الخَلاص الحقيقيِّ، لأنَّ كثيرًا من النَّاس، كما تقول الوثيقة: «كثيرًا ما خَدَعَهم الشيطان فضلُّوا سواءَ السبيل»، فـ«من أجل ذلك، تُعْنَىٰ الكنيسة العنايةَ الحَارَّة بتعزيز الرسالات لأجلِ مجدِ الله وخلاص جميع النَّاس، مُتَذَكِّرَةً وَصِيَّةَ الربِّ القائل: (**بَشِّرُوا بالإنجيلِ الخَلِيقَةَ كلَّها**)»[3]. وتواصل الوثيقة شَرْحَ برنامجِ الكنيسةِ

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٣٦.

(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٠، هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٣٨.

(٣) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٣، هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٤٠.

الكاثوليكيَّةِ الخَلاصيِّ، فتقول: «الكنيسةُ بدعوتها بالإنجيل تَجْتَذِبُ المستمعين إلىٰ الإيمان والاعتراف به [=المسيح]، وتُعِدُّهم للمعموديَّة، وتنتزعهم من عُبُودِيَّة الضَّلال، وتضمهم إلىٰ **المسيح** ليكبروا فيه بالمحبَّةِ إلىٰ أن يتمَّ الملء. وغايةُ نَشاطِها ليس أن تحفظ من الضَّياع كلَّ ما في قلوب النَّاس وعُقولِهم، أو في طُقوس الشعوب وثَقافاتِهم، من بذور الخير فحسبُ، بل تُصلحَه، وتَرفعَه، وتُتِمَّه لمجدِ الله وخزي الشيطان وسعادة الإنسان. وإنَّ واجب نَشرِ الإيمان منوطٌ بِكلِّ تلميذٍ **للمسيح** علىٰ حسب طاقته ... وهكذا تُصلِّي الكنيسةُ وتعمل، في آنٍ واحدٍ، لكي يتحوَّلَ ملءُ العالم كُلِّهِ في شعبِ اللهِ، جسدِ الربِّ، هيكلِ الروح القدس، ويُؤدِّي في المسيح، رأسِ الكلِّ، للآبِ خالقِ الكونِ كلّ إكرامٍ وتمجيد»[(١)]. وهذا الذي جاء في وثائق (**المَجْمَع الفَاتِيكَانيّ الثَّاني**)، أكَّدَهُ لاحقًا البابا **يوحنَّا بولس الثاني**، ففي الرسالة العامة التي أصدرها بتاريخ ٧ كانون الأول لعام ١٩٩٠م حول الخلاص، تحت عنوان: (Redemptoris missio)[(٢)]، أكَّدَ علىٰ الصَّلاحيَّةِ الدَّائمَةِ لِمُهِمَّةِ الكنيسة التبشيريَّة، وأهميَّة التبشير كعاملٍ مهم علىٰ

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٣-٥٤، هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثوليكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٤٠-٩٤١.

(٢) see:
http://www.vatican.va/content/john-paul-ii/en/encyclicals/documents/hf_jp-ii_enc_07121990_redemptoris-missio.html

تقوية الإيمان. وناقش تحت عنوان: (**يسوع المسيح المخلص الوحيد**)، مفهوم «**شموليَّة الخلاص**» والنجاة للبشريَّة، وهل هو مُتاح للجميع أم للكاثوليك فقط؟ مُبَيِّنًا أنَّ معنىٰ شموليَّة الخَلاص للجميع لا تعنىٰ نجاتهم وخَلاصهم، فلا خَلاص ولا نجاة إلا من خلال يسوع المسيح فقط، وإنما يعني مصطلح (**شُمُوليَّة الخَلاص**) أنَّ جميع أفراد البشر قد شُمِلُوا بالدعوة المقدمة لهم من قِبَلِ الكنيسة من أجل قبول الإيمان، ولأنَّ جميع الديانات -باستثناء المسيحيَّة الكاثوليكيَّة- مع ما فيها من بعض الخير والحقِّ، «تحتوي ثغراتٍ وشوائبَ وأخطاء»، فإنَّ ذلك يؤكِّد «دائمًا بثباتٍ علىٰ أنَّ الخَلاص يأتي من **المسيح**، وأنَّ الحِوار لا يُعفي من التبشير بالإنجيل»، ومن هنا يأتي واجب **الكنيسة الكاثوليكيَّة** ومؤسَّسَاتها في التبشير وتبليغ دعوة الإنجيل لكافة البشريَّة، عن طريق الاندماج الثقافي بينهم بفطنةٍ، ومن ثَمَّ تغيير معتقداتهم، خاصَّةً الذين لا تسمح لهم مجتمعاتهم وأنظمتها ببلوغ الرسالة الإنجيليَّة إليهم(١).

ولهذا فإنَّ البابا **يوحنَّا بولس الثاني** في تلك الوثيقة، وغيرها، انتقد الميوعة في الدِّين، ومبالغة بعض المُنْتَمِين إلىٰ الكنيسة الكاثوليكيَّة في التسامح مع الأديان الأخرىٰ، وما ترتب عليه من التقاعس عن تنصيرهم. تقول الباحثة **مارليز سيمونز**:

---

(١) انظر: هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١١٧٢-١١٧٤.

«رَكَّزَ البابا علىٰ علاقات الكنيسة مع الأديان والفلسفات الأخرىٰ. كان ينتقد بِعنفٍ أفراد طاقم الكنيسة وعلماء اللاهوت الذين ذهبوا -في رأيه- بعيدًا جدًا في تعاطفهم مع الأديان الأخرىٰ، في حين أنَّهم لم يحاولوا تغيير دين أتباعها. وقد أدىٰ هذا التسامح إلىٰ انتشار اللامبالاة بين المسيحيين، والتي قال إنَّها كانت أحد الأسباب الرئيسة لقلة الاهتمام بالمهمة التبشيريَّة»[1].

وفي كلامٍ واضحٍ، يُؤكِّد البابا **يوحنَّا بولس الثاني** علىٰ أهميَّة عدم اللبس أو القراءة المُنْحَرِفَة والمُضَلِّلَة لقَرَارات (**المَجْمَع الفَاتِيكَانيّ الثَّاني**)، إذ لا يُوجد فيها ما يدعم تمييع العقيدة الكاثوليكيَّة، أو المبالغة في التسامح مع الأديان الأخرىٰ، أو اللا مبالاة بالصَّدْعِ بالحقِّ وهِجْرَان الدعوة إلىٰ الإيمان بالإنجيل. يقول: «أحد أكثر الأسباب جديَّة لقلة الاهتمام بالواجب التبشيريِّ هو انتشار اللا مبالاة، والتي للأسف توجد أيضًا بين المسيحيين. إنَّها تقوم علىٰ وجهات نظر لاهوتيَّة فاسدة، وتتميَّز بنسبيَّة دينيَّة تؤدي إلىٰ الاعتقاد بأنَّ دينًا ما هو جيدٌ مثل دينٍ آخر. إنَّ أكثر هذه الأعذار مَكْرًا هي بالتأكيد تلك التي يدعي النَّاس أنَّ [مزاعمهم حول التَّعَدُّدِيَّة الدِّينيَّة] تجد الدعم لها في كذا وكذا من تعاليم **المَجْمَع**. وفي هذا الشأن، أطلبُ بشدَّةٍ من علماء اللاهوت والصحفيين المسيحيين المحترفين تكثيف الخدمة التي يقدمونها

(١) The New York Times International, Wednesday, January 23, 1991, p. 4.

لإرساليَّة الكنيسة لاكتشاف المعنىٰ العميق لعملهم، علىٰ طول الطريق المؤكِّد للتفكير مع الكنيسة. لقد شَجَّعَ البابا المبشرين والجماعات المسيحيَّة فيِ حِوارهم واحترام للبوذيَّة والهندوسيَّة والإسلام. لكنَّه قال: إنَّ هذا لا يُقَلِّلُ من واجبهم في إعلان تعاليم **يسوع المسيح** أو إلغاء الدعوة إلىٰ الإيمان والمعمودية التي يريدها الله لجميع النَّاس»[1].

---

(١) http://www.vatican.va/content/john-paul-ii/en/encyclicals/documents/hf_jp-ii_enc_07121990_redemptoris-missio.html

المطلب السابع
ما الجديد إذن الذي قَدَّمَه (المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني)؟

إنَّ هذه الشروط المَبْنِيَّة علىٰ الأُسس الأربعة السابقة التي أكَّدَتها ورَسَّخَتها وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) وما جاء بعدها، مما تُظْهِرُ أنَّ اعتقاد **الكنيسة الكاثوليكيَّة** بأصولها ومبادئها الرئيسة والمُؤسِّسَة لم يَطْرَأ عليه تغييرٌ جوهريٌّ وأنَّه ظَلَّ ثابتًا راسخًا، ويظهر من طبيعة شروط الخَلاص أنَّ هذا الثبات والرُّسُوخ أيضًا امتدَّ إلىٰ موضوع استحقاقيَّة (**الخَلاص**) وحدوده فلم يطرأ أي تغير يتعلق بهذه الجوانب، وكذلك بَقِيَ موقف الكنسية تجاه المخالفين كما هو ولم يحدث له أيُّ تغييرٍ أو تجديدٍ حقيقيٍّ.

والسؤالُ المُهِمُّ هنا، هو: ما الجديد الذي مَثَّلَتْهُ مرحلة (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) بالنسبة إلىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** فيما

يتعلق بقضية (**شموليَّة الخلاص**) والموقف من المخالفين؟ وكيف عالجت الكنيسة في **المَجْمَع** (**خَلاص غير المسيحيين**) بحيث تَمَّ اعتباره نقطة فاصلة وتَحَوليَّة في تاريخها، إذا كانت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** ثابتة علىٰ أصولها السَّابِقة التي تقضي بأنَّها هي وحدها التي تُمَثِّل الخيرَ التَّامَّ والحقَّ الكاملَ، وأنَّها معصومة في عقائدها وآدابها وقيمها، معصومة في البابا وأساقفته، وأنَّه لا خَلاص للبشريَّة خارجها؟

لقد تَمَحْوَرَ جواب **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، أو بالأحرىٰ جواب بعض من يَنتمي إليها ويُدَافع عنها، عن هذه الأسئلة الجوهريَّة من خلال تقديم ما يُعْرَف بـ (**تدبير الخَلاص**) أو (**خُطَّة الخَلاص**)، مُبَيِّنينَ وشَارِحِينَ من خلالها تفاصيل مفهوم (**شموليَّة الخَلاص**)، تلك (**الخُطَّة الخَلاصيَّة**) التي فَضَّل (**المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني**) أن يَظَلَّ صامتًا حيالها ومُتَوقِّفًا عن الدخول في شَرْحِ تفاصيلها الدَّقيقة.

ومن أجلِ بيان (**خُطَّة** أو **تدبير الخَلاص**)، قامت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** وبعض اللاهوتيين الكاثوليك بتقسيم المُخَاطَبِينَ إلىٰ فئاتٍ، كما يأتي:

الفئة الأولىٰ: وهم مَن عَلِمَ برسالة الإنجيل ونِعْمَة الخَلاص الموجودة في **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ومن ثَمَّ أدرك ضرورة الانتماء إليها للحصول علىٰ ذلك الخَلاص، ثُمَّ تركها عمدًا، فهؤلاء لا خَلاصَ لهم ألبتة. وهذه الفئة من النَّاسِ بدورها تنقسم إلىٰ

طائفتين: **الطائفة الأولىٰ**: المسيحيُّون الكاثوليك الذين كانوا داخل **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ثم تخلَّوا عنها وخرجوا منها، وتركوا التَّمَسُّكَ بالحقِّ الوحيدِ والحَصْرِيِّ المُتَمَثِّل في إيمان وعقائد تلك الكنيسة. **الطائفة الثانية**: المسيحيُّون غير الكاثوليك من أتباع الطوائف الأخرىٰ، كالبروتستانتيَّة والأرثوذكسيَّة وغيرهما، وكذلك غير المسيحيِّين من أتباع الديانات الأخرىٰ، الذين عرفوا المسيحيَّة، وعلىٰ وجه الخصوص **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ثُمَّ رفضوا الدخول في الحقِّ. فهؤلاء جميعًا لا خَلاص لهم، وسيتم استبعادهم من شُمُوليَّة الخَلاص؛ وذلك لعدم انتمائهم إلىٰ **الكنيسة الكاثوليكية** وإصرارهم علىٰ البقاء خارجها[1]. فقد جاء في الوثيقة **الفاتيكانيَّة** التي تحمل عنوان: (**دستورٌ عقائِديٌّ: الكنيسة** Lumen gentium): «إنَّ الذين لا يجهلون أنَّ الله قد أنشأ، **بيسوع المسيح**، **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أداةً ضروريَّة، ثمَّ يرفضون الدُّخولَ إليها أو الثبات فيها، لا يستطيعون سبيلًا إلىٰ الخلاص»[2]. وكذلك جاء التأكيد نفسه مرةً أخرىٰ في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**نَشَاطُ الكَنِيسَةِ الإرْسَاليُّ** Ad Gentes)، حيث أَكَّدَت «أنَّ الذين لا يجهلُون أنَّ الله قد أنشأ، **بيسوع المسيح**، الكنيسةَ

---

(1) see: Michael Lacey and Francis Oakley, The Crisis of Authority in Catholic Modernity, p. 127.

(2) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٣٨، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٠.

الجامعةَ أداةً ضَروريةً ثم يرفُضون الدخولَ إليها أو الثَّباتَ فيها، لا يستطيعونَ بلوغَ الخَلاص . . . [فهذا هو] الإيمان الذي يستحيلُ إرضاءُ اللهِ بدونه»[1]. وهكذا، فإنَّ جميع البشريَّة التي تنتمي إلىٰ الطوائف المسيحيَّة غير الكاثوليكيَّة وإلىٰ الأديان الأخرىٰ المُنْتَشِرَة في العَالَم كُلِّهِ، وتعرف **المسيح** وكنيسته **الكاثوليكيَّة**، ثُمَّ لم تقبل **بالمسيح** ولم تدخل إلىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، هالكة لا مَحالة، ولا خَلاصَ لها إطلاقًا.

الفئة الثانية: هم مَن لم يَعْلَم بِرِسَالَةِ الإنجيلِ ولا بِنِعْمَةِ الخَلاصِ، ولم يتركها عمدًا بل جهلًا، ويسعون قدر طاقتهم لابتغاء مرضاة الله، ويعملون الصالحات ويصنعون البِرَّ، فمثل هؤلاء لهم (**تدبير الخَلاص**)، وهناك (**خُطَّة خلاصٍ**) لأجلهم، وهم ليسوا في منزلة الفئة الأولىٰ، ولهذا فهم يدخلون ضمن مفهوم (**شُمُوليَّة الخَلاص**)، وبه يستحقون مِنْحَةَ الكنيسة ومساعدتها، وهي التي لا تَتَوانىٰ في مَدِّ يد العَون الخَلاصي لهم.

وقد وَضَعَت **الكنيسة الكاثوليكيَّة** لهؤلاء تدابير وخُطَّة الخَلاص الخَاصَّةِ بهم، وهي قائمة علىٰ التفريق بين صنفين ينتميان إلىٰ هذه الفئة الجاهلة التي لم يبلغْها الإنجيل، وهما، **الصِّنفُ الأول**: من كان حيًا ويمكن لدعاة الإنجيل بلوغه.

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٤٩٦.

والصِّنفُ الثاني: من كان حيًّا ولا يمكن بلوغه، أو مات ولم تبلغه رسالة الإنجيل.

الصِّنفُ الأول: من كان حيًا ويمكن لدعاة الإنجيل بلوغه.

وهذا الصِّنفُ هم الفئة الأهم بالنسبة إلىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، وتكاد تكون معظم وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) التي تتحدث عن نشاط الكنيسة ومشاريعها مُكَرَّسَة لمثل هذا الصِّنفِ من النَّاس، فهؤلاء النَّاس هم محور اهتمام الكنيسة، وهم مدار أعمالها الكبرىٰ حول العَالَم كُلِّهِ. وخُطَّة الخَلاص الخَاصَّةِ بهم تَتَمَثَّل في النُّقَاطِ الآتية:

الأولىٰ: أنَّ هؤلاء الذين يعملون الصالحات ويبذلون أعمال البِرِّ، ويجهلون دون قصدٍ أو إهمالٍ منهم **يسوع المسيح**، ولا يعرفون رسالة الإنجيل ولا بشارة الخَلاص، لا ذنب لهم في جهلهم وعدم علمهم برسالة الخَلاص الضروريَّة للبشريَّة جمعاء، ولم يصدر منهم تقصيرٌ في طلب الحقِّ، بل هم يتطلعون ويتلهفون إلىٰ معرفة الله وطاعته من خلال ما تُمْلِيه عليهم ضمائرهم[١]، ولهذا فإنَّ نعمة الله تنالهم، والله يريد أن يُخَلِّصَهم، ومن ثَمَّ فهم يدخلون في مفهوم (**شُمُوليَّة الخَلاص**).

(١) see: John Thiel, Senses of Tradition: Continuity and Development in Catholic Faith, p. 104.

الثانية: أنَّ مفهوم (**شُمُوليَّة الخَلاص**) واستحقاقهم الدخول فيه، لا يعني أنَّهم بالفعل قد نالوا الخَلاص، وإنَّما يعني دخولهم في (**شُمُوليَّة الخَلاص**) أنَّ الخَلاصَ قد أصبح مُتاحًا لهم بسبب قابليتهم لتلقيه وقَبُوله لزوال أهمِّ الموانع: وهو الجهل الذي سوف يَرْتَفِعُ من خلال إمكانيَّة وجود المُبَشِّرين الذين كَرَّسَتهم **الكنيسة الكاثوليكيَّة** لهذه المَهَمَّة. فقد جاء في الوثيقة **الفاتيكانيَّة** التي تحمل عنوان: (Redemptoris missio)، وهي عبارةٌ عن **رِسَالَةٍ عَامَّةٍ** أصدرها البابا **يوحنَّا بولس الثاني** في عام ١٩٩٠م، جاءت، تحت عنوان: (**يسوع المسيح المخلص الوحيد**)، مُناقَشَةُ مفهوم (**شُمُوليَّة الخَلاص**) والنجاة للبشريَّة، وهل هو مُتاح للجميع أم للمؤمنين فقط **بالمسيحيَّة الكاثوليكيَّة**؟ لِتُبَيِّنَ الوثيقة أنَّ معنىٰ شُمُوليَّة الخَلاص للجميع هنا لا تعنىٰ نجاتهم وخَلاصهم، فلا خَلاص ولا نَجَاة إلا من خلال **يسوع المسيح** فقط، وإنَّما يعنىٰ مفهوم (**شُمُوليَّة الخَلاص**) أنَّ جميع أفراد البشر قد شُمِلُوا بالدعوة المقدمة لهم من قِبَلِ الكنيسة من أجل تسهيل عمليَّة قَبُولهم الإيمان، فكثيرٌ من النَّاس ليس لديهم «إمكانية معرفة وحي الإنجيل أو تقبله»، لأنَّهم «يعيشون في حالات اجتماعيَّة وثقافيَّة لا تسمح لهم بذلك، وقد تربوا في تقاليد دينيَّة أخرىٰ»، ومن هنا يأتي واجب **الكنيسة الكاثوليكيَّة** في تبليغ دعوة الإنجيل لكافة البشريَّة، ولهذا تؤكد **الكنيسة الكاثوليكيَّة** علىٰ اتباعها بأنَّه «علينا قبل كلِّ شيءٍ مع احترام القناعات الدينيَّة والحساسيَّات كُلِّها، أن نُعلن

ببساطة إيماننا **بالمسيح** مخلص الإنسان الوحيد»[1]، ولأنَّ جميع الديانات -باستثناء **المسيحيَّة الكاثوليكيَّة**- معَ ما فيها من بقايا الخيرِ النَّاقِصِ والحَقِّ القَاصِرِ، «تحتوي ثغراتٍ وشوائبَ وأخطاء»، فإنَّ ذلك يؤكد «دائمًا بثباتٍ علىٰ أنَّ الخَلاص يأتي من **المسيح** وأنَّ الحِوار لا يُعفي من التبشير بالإنجيل»[2]. فهذه الفئة التي تجهل رسالة الإنجيل من دون قصدٍ منها وبغيرِ ذنبٍ ارتكبته لا يعني أنَّها غير ضالة أو غير مُنْحَرِفَة، ولا يعني أنَّهم قد سَلِمُوا من غواية وخِداع الشيطان، بل هم في الحقيقة قد وقعوا في الضلال واستطاع الشيطان أن يغويهم ويضلهم، ولهذا فإنَّ واجب **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أن تنقذهم من براثن الشيطان وضلاله، حيث إنَّهم وحدهم غير قادرين علىٰ ذلك بطرقهم الخَاصَّة أو أديانهم أو باجتهاداتهم الأخلاقيَّة الفرديَّة. فقد جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ رعائيٌ: الكنيسة في عالم اليوم** Gaudium et Spes) أنَّ «عَالَم البشرِ، أي عموم الأسرة البشريَّة مع عُموم ما يُحيط بها من مقومات البيئة ... سقطَ في عُبوديَّة الخطيئةِ ولكنَّ **المسيحَ** قد حَطَّمَ بالصليب والقيامة شَوْكَةَ الشِّرِّير وحرَّرَهُ لكي يَتَحَوَّلَ وفاقًا لقَصْدِ الله، ويبلُغ كمالَ وجودِه»[3]. وقد أَكَّدَت الوثيقة التي

---

(١) انظر: هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١١٧٢-١١٧٣.

(٢) انظر: هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١١٧٤.

(٣) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٢٠٠.

تحمل عنوان: (**نَشَاطُ الكَنِيسَةِ الإرْسَاليُّ** Ad Gentes)، أنَّ «قصد الله هذا الشَّامِلَ لأجلِ خَلاصِ الجنس البَشَريِّ لا يتحقق» في أذهان النَّاس ولا بمبادراتهم ولا من خلال طرقهم الخاصة أو بواسطة أديانهم، فمحاولاتهم الصادقة كلها، وإن كانت «بتدبيرٍ خَيِّرٍ من العناية الإلهيَّة، [نستطيع] أن نَعُدَّها توجيهًا إلىٰ الإله الحقيقي، أو تَهْييئًا للإنجيل»، إلا أنَّها «بحاجةٍ إلىٰ تنويرٍ وتصحيح»، فالخَلاصُ الحقُّ والدِّينُ الحقُّ هو في «**المسيح يسوع** [الذي] أُرسِلَ إلىٰ العَالَمِ وسيطًا حقيقيًّا بين اللهِ والبشر»، ومن أجل هذا «فما بَشَّرَ به الرَّبُّ أو ما تمَّ فيه لأجل خلاص جنس البشر يجبُ أن يُعلن ويُنشر إلىٰ أقاصي الأرض، ابتداءً من أورشليم، بحيثُ إنَّ ما تمَّ مَرَّةً واحدةً لأجلِ خَلاصِ البشرِ يمتد أثره في جميع البشر علىٰ مَرِّ العُصور»[1]. وتحت عنوان: (**دَواعي النَّشَاط الإرسَاليّ وضَرُورَتُه**)، تؤكد الوثيقة أنَّه لا خَلاص خارج دين **يسوع المسيح**، وأنَّ التبشير واجبٌ لإنقاذ البشريَّة من الضلال والهلاك، فـ «إنَّ دَواعي النَّشاط الإرساليّ كامنةٌ في إرادةِ الله، الذي يريدُ أنَّ جميع النَّاس يَخْلُصونَ ويبلغُونَ إلىٰ معرفة الحقِّ، لأنَّ الله واحدٌ، والوسيط بين الله والنَّاس واحدٌ، الإنسانُ **يسوعُ المسيح**، الذي بذَل نفسَه فداءً عن الجميع، وما مِن خَلاصٍ بأحدٍ غيرهِ. فيجب إذن أن يُقْبِلَ عليه الجميعُ كما يتجلَّىٰ في كرازةِ

---

(١) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٤٨٧-٤٩٠.

الكنيسة، وأن ينضمُّوا بالمعموديَّةِ إليه وإلىٰ الكنيسة التي هي جسدُه»[1].

الثالثة: أنَّه لا بُدَّ أن يُدْرَك بشكلٍ لا لَبْسَ فيه أو شك أنَّ الخيرَ التَّامَ والحقَّ الكاملَ إنَّما تَجَسَّدَ في **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، ولا خَلاص بدون **يسوع المسيح** وكنيسته المُمَثِّلَة الوحيدة له علىٰ هذه الأرض، فقد جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ رعائيٌ: الكنيسة في عالم اليوم** Gaudium et Spes) أنَّه «ليس تحتَ السماء اسمٌ آخرُ [غير **المسيح**] أُعطيَ للنَّاس به ينبغي أن يَخْلُصوا»[2]، فـ «**المسيح** هو خاتمة تاريخ البشر»، وهو «محورُ الجِنس البشري»، وأنَّه «عندما تُساعدُ الكنيسةُ العَالَمَ وعندما تتقبَّلُ منه المُساعدةَ إنَّما تَنشُدُ غايةً واحدةً هي أن يأتي ملكوتُ الله وأن يكونَ الخَلاصُ لِجنْسِ البشرِ كُلِّه»[3]. وكذلك جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**الكَنَائِسُ الشرقِيَّةُ الكاثوليكيَّة** Orientalium Ecclesiarum) أنَّه ليس غير «كنيسةٍ للهِ واحدةٍ، منظورةٍ، جامعةٍ حقًّا، قد أُرسلت إلىٰ العَالَم كُلِّهِ ليَهتدِيَ إلىٰ الإنجيل فيجدَ خَلاصَه لمجدِ الله»[4]. وجاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**الحريَّة الدينيَّة** Dignitatis humanae)، ما نَصُّهُ: «نحن نؤمنُ أنَّ الديانةَ

(١) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٤٩٦.
(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٢٠٩.
(٣) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٢٥١.
(٤) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٤٦.

الحقيقيَّةَ الوحيدةَ قائمةٌ في **الكنيسة الكاثوليكيَّةِ** والرَّسُوليَّة التي وَكَلَ إليها السيدُ **المسيح** أمْرَ نَشْرِها بين جميعِ النَّاس»[١]، وأنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّةَ** هي «الديانةُ الحقيقيَّةُ وكنيسةُ **المسيحِ** الواحدة»[٢]، ومن ثَمَّ جاء التأكيد علىٰ حَقِّ الكنيسة المُطلق في خَلاصِ النَّاس جميعًا (=التبشير)، وأنَّه لا بُدَّ أن يتم ضمانه والدفاع عنه بلا نقصٍ من أجلِ خير البشريَّة جمعاء، فـ «إنَّها لمُقَدَّسَةٌ تلك الحُريَّةُ التي مَهَرَ بها ابنُ الله الوحيد كنيستَه التي اقتناها بدمهِ. وهي من أخصِّ خصائص الكنيسة، ومن يُقاومُها إنَّما يُقاوِمُ إرادةَ الله»[٣]، «فالكنيسة الكاثوليكيَّة هي، بمشيئةِ **المسيحِ**، مُعَلِّمَةُ الحقيقةِ، ومُهِمَّتُها أن تَعرِضَ الحقيقةَ التي هي **المسيح** وتُعَلِّمَها في أصالةٍ . . . فمن اللازمِ إذن اعتبارُ الفروضِ المستوجبة **للمسيحِ** الكلمةِ المُحيي الذي يَجِبُ التبشير به»[٤].

الرابعة: أنَّ هؤلاء مع أنَّهم ينتمون إلىٰ أديانٍ وضعيَّةٍ بشريَّةٍ وليست إلهيَّة، إذ لا دين إلهي إلا الكاثوليكيَّة، إلا أنَّ أديانهم ليست خالية تمامًا من أيِّ قيمةٍ، بل فيها تهيئةٌ ضروريَّةٌ هي بمثابة القاعدة والشرارة التي من خلالها تكون البداية والانطلاقة نحو الحقِّ الكاملِ والخيرِ التَّامِّ الذي تَمَثَّلَ حَصْرًا في الكاثوليكيَّة، هذه

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦٠٧-٦٠٨.
(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦٠٨.
(٣) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦١٨-٦١٩.
(٤) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦١٩-٦٢٠.

التهيئة هي بقايا الحقِّ والخيرِ والقيمِ والأخلاقِ المشتركة المَبْثُوثَة في تلك الأديان حول العَالَم كُلِّهِ، وهي التي سوف تكون الخُطْوة الأولىٰ المُهِمَّة لمسيرتهم باتجاه الكمال، ومن ثَمَّ نحو الخلاص، ومنها يجب أن يبدأ المُبَشِّرون الانطلاقة. فتلك البقايا المُعْتَرَف بها هي سِرُّ **يسوع المسيح** وهي الجِسْرُ الذي لا بُدَّ منه من أجلِ الانتقال بهم تدريجيًّا نحو الخَلاص.

الخامسة: ومن الحقائق السابقة الراسِخَة والثابتة المُتَمَثِّلَة في جهل هذه الفئة برسالة **يسوع المسيح** بلا ذنبٍ منهم، ورغبتهم الصادقة في الحقيقة، وتلهفهم لمعرفة الله الحقيقي، ووجودهم علىٰ قيد الحياة، وإمكانيَّة الوصول إليهم، وعدم صلاحيَّة أديانهم ومذاهبهم للخَلاص، حيث لا خَلاص خارج **يسوع المسيح**، فالخَلاص لن يتم إلا به وحده، ومسألة وجود بعض الخيرِ والحقِّ لديهم ليس مُؤهلًا لهم للخَلاص ذاته، لكنَّه يُؤهلهم لدخولهم في (**شموليَّة الخَلاص**)، فيكون ما لديهم من خيرٍ ناقصٍ وحقٍّ قاصرٍ بمثابة الأرضيَّة المشتركة للانطلاق نحو الحقِّ الكامل والخير التَّام. وبهذا يتم تفعيل وتنشيط التهيئة الموجودة في الأديان والمذاهب، بما فيها من بقايا حقٍّ وخيرٍ، كنقطة إطلاقةٍ ضروريَّةٍ من أجلِ الانتقال بهم من أديانهم البشريَّة الوضعيَّة المُنحَرِفَة إلىٰ **المسيحيَّة الكاثوليكيَّة**، وذلك لن يَتِمَّ إلا عن طريق نشاط التبشير وتبليغ الإنجيل علىٰ يد دعاة **الكاثوليكيَّة**. فقد جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**نَشَاطُ الكَنِيسَةِ الإرْسَاليُّ** Ad Gentes): «[أما

الذين] يجهلونَ الإنجيل عن غير خطأٍ منهم، فعلىٰ الكنيسةِ تقعُ ضرورة التَّبشير بالإنجيل -وهو أيضًا حقٌّ لها مُقَدَّسٌ-، وهكذا يبقىٰ نشاطُها الإرساليُّ اليوم ودائمًا علىٰ كاملِ قوَّتِهِ وضرورتِه»(١).

وهذا واجبٌ رِسَاليٌّ علىٰ كافة أعضاء **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، من رجال الدين والكهنوت بكافة مراتبهم الدينيَّة إلىٰ بقية الأعضاء العَلمانيين، يُحَتِّمُ عليهم جميعًا القيام بدورهم من أجلِ إيصال رسالة الخَلاص الإنجيليَّة إلىٰ كافة الخليقة، لكي لا يبقىٰ علىٰ وجهِ الأرضِ من يجهل رسالة الإنجيل، أو يجهل بشارة **يسوع المسيح** وهبته الخَلاصيَّة. فقد جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**دستورٌ عقائديٌّ: الوحي الإلهي** Dei Verbum)، ما نَصُّهُ: «أَمَرَ [**المسيحُ**] رُسُلَه أن يُبَشِّروا النَّاس أجمعين بهذا الإنجيل، منبعًا لكلِّ حقيقةٍ خَلاصيَّةٍ»(٢)، و«لكي يُبشِّروا بالإنجيل، ويُوقظوا الإيمان في قلوب البشر، ويحملوهم علىٰ الاعتراف **بيسوع المسيح** ربًّا ومسيحًا، ويضمُّوا المؤمنين في كنيسةٍ واحدةٍ . . . شهادة إلهيَّة . . . وهي شهادةٌ لا تَزول»(٣).

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٤٩٦.

(٢) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٩٦، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٢٥.

(٣) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١٠٠٢-١٠٠٣، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ١٣٤.

وفي هذه المَهَمَّة العظيمة، يَنْقَسِمُ واجب المسيحيين الكاثوليك جميعًا إلىٰ دورين: دورٌ عامٌ، ودورٌ خَاصٌ:

أمَّا **الدورُ العَامُ**: فهو ممارسة التبشيرِ العُمُومِيِّ، الخَطَابي الوَعْظِي والعَمَلي السُّلُوكِي، علىٰ أوسع نطاقٍ، وبكافة الوسائل والأدوات المتاحة، في كافة المجالات: التربية والتعليم، والإعلام، والسياسة، وأعمال الخير التطوعيَّة، والسياحة، والصداقات، وبين القربات العائليَّة، وغيرها. فقد جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**وَسَائِل الإعْلامِ الاجْتماعيِّ** Inter mirifica)، تحت عنوان: (**واجِبَاتُ الكَنِيسَة**): «تَرىٰ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من وَاجبها -وقد أنشَأها المسيح لتؤتيَ جميعَ النَّاسِ الخَلاص، ولهذا بالذات يَستحِثُّها الواجبُ علىٰ تَبشِيرِهم بالإنجيل- أن تَستَخدِمَ هي أيضًا وسائلَ الإعلام الاجتماعيّ في الدَعوةِ بالخلاص . . . فالكنيسة إذن تُؤكِّدُ حَقَّها الأصيل في أن تَستَخدِم هذه الوسَائِلَ وتملكَها علىٰ اختلافِ أنواعِها بِقَدرِ ما هي ضروريَّةٌ أو مفيدةٌ للتربيةِ المسيحيَّة، ولعملها بِرُمَّتِهِ في سَبيلِ خلاصِ النفوس . . . وعلىٰ العَلمانيين، بوجهٍ خاصٍّ، أن يُنعِشُوا هذا النوعَ من الوسَائِل بالروحِ الإنسانيِّ والمسيحيِّ، لِيَجْعَلُوها تَتَجاوبُ مع آمالِ البشريَّة الكبرىٰ ومَقَاصدِ الله تجاوبًا تامًا»[١]. وجاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**خِدْمَةُ الكَهَنَةِ الرَّاعَويَّةُ وَحَيَاتُهم** Presbyterorum Ordinis)،

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٩٢.

تحت عنوان: (**الكَهَنَةُ خَدَمَةُ كَلِمَةِ الله**)، تحديدُ أَهَمِّ وظيفةٍ للكهنةِ في نظر **الكنيسة الكاثوليكيَّة** والتي بها يزيد عدد الكاثوليك في العَالَم، «فوظيفةُ الكهنةِ الأُولىٰ، بحكمِ كونِهم مُعَاوني الأساقفة، أن يُبَشِّرُوا بإنجيلِ الله في جميع النَّاسِ. وبهذا يُلَبُّون أمرَ الربِّ: (**فاذهبوا في العَالَمِ كله، وَبَشِّروا بالإنجيل الخليقةَ كلها**)؛ وهكذا يَلدون شعبَ اللهِ ويَزيدونه نَماءً. فكلمةُ الخَلاصِ هي التي توقظ الإيمان في قلوب غير المسيحيين . . . ففي البلدانِ أو الأوساطِ الغيرِ [كذا] المسيحيَّةِ يُجلَبُ النَّاسُ بالدعوةِ بالإنجيل إلىٰ الإيمان وأسرارِ الخَلاص»[١]. وفي الوثيقة التي تحمل عنوان: (**رِسَالَةُ العلمانِيِّين** Apostolicam actuositatem)، تحت عنوان: (**هَدَفُ العَمَلِ الرَّسُوليِّ تبشيرُ النَّاس بالإنجيلِ وتقديسُهم**)، جاءت الوثيقة واضحةً لا لبس فيها في بيان الهدف الأول من جميع نشاطات **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، فـ «هَدَف رسالةِ الكنيسة خَلاصُ النَّاسِ الذي يتمُّ الحصولُ عليه بالإيمَان **بالمسيح** وبفعلِ نعمتِه»[٢]. ولأنَّ هذه الفئة -التي تَجْهَل حقيقة الخَلاص ورسالة الإنجيل- متنوعة ومختلفة، فإنَّ واجب الكنيسة يُحَتِّمُ عليها أن تَتَسَلَّلَ بذكاءٍ داخلهم، فقد جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**نَشَاطُ الكَنِيسَةِ الإرْسَاليُّ** Ad Gentes)، بيان منهج **الكنيسة الكاثوليكيَّة** وأسلوبها (**التَّسَلُّلِي**) لإيصال رسالتها إلىٰ هذه الفئة، فالذين «لم يسمعُوا بعد

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٣٦٢-٣٦٣.

(٢) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٤٥٢.

أو لم يكادُوا يَسْمَعُون البشارةَ الإنجيليَّة، منهم مَن يَنْضوي إلىٰ إحدىٰ الدياناتِ الكبرىٰ، ومنهم مَن لا يزالُ غريبًا عن معرفة الله نفسِه، ومنهم مَن يُنكِرُ وجودَهُ بصراحةٍ، وأحيانًا يتنكَّرُ له ويتهجَّمُ عليه. ولكي تستطيعَ الكنيسةُ أن تُقَدِّمَ للجميعِ سرَّ الخَلاصِ والحياةِ الآتية من لدُنِ الله، يلزمُها أن **تَتَسَلَّلَ** في جُموعِ هذه الجماعات كُلِّها، يُحَرِّكُها الدافعُ نفسُه الذي حملَ المسيح في تجسُّده»[1]. وجاء في وثيقة المَجْمَع: (**دستورٌ عقائِديٌّ: الكنيسة** Lumen gentium)، ما نَصُّهُ: «كما أنَّ الابن قد أرسَلَهُ الآب كذلك أرسل، هو أيضًا، الرسل قائلًا لهم: (**فاذهبوا إذن وعَلِّموا جميع الأمم، وعَمِّدُوهم باسمِ الآبِ والابنِ والروح القدسِ، ولَقِّنُوهم أن يحفظوا كُلَّ ما أَوصَيتكم بِهِ، وهاءنذا** [كذا] **معكم كُلَّ الأيام حتىٰ منتهىٰ الدهر**). وهذه الوصيَّة الرسميَّة من **المسيح** بِنَشْرِ حقيقةِ الخلاص قد تَسَلَّمَتها الكنيسةُ من الرسل لتواصلَ القيامَ بها حتىٰ أقاصي الأرض. لذلك تَتَبَنَّىٰ قولَ الرسول: (**الويل لي إن لم أُبَشِّرْ بالإنجيل**)، ولذلك لا تَني تبعثُ قوافلَ المرسلين إلىٰ أن يَتِمَّ إنشاءُ الكنائس الحديثة فتتولَّىٰ هي بنفسها مُواصلة التبشير بالإنجيل . . . والكنيسةُ بدعوتها بالإنجيل تَجْتَذِبُ المستمعين إلىٰ الإيمان والاعتراف به [=**المسيح**]، وتُعِدُّهم للمعموديَّة، وتنتزعهم من عُبُودِيَّة الضَّلال، وتضمهم إلىٰ **المسيح** ليكبروا فيه بالمحبَّةِ إلىٰ أن يتمَّ الملء. وغايةُ نَشاطِها ليس أن تحفظ من الضَّياع كلَّ ما في

---

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٠٠.

قلوب النَّاس وعُقولِهم، أو في طُقوس الشعوب وثقافاتِهم، من بذور الخير فحسبُ، بل تُصلحَه، وتَرفعَه، وتُتِمَّه لمجدِ الله وخزي الشيطان وسعادة الإنسان. وإنَّ واجب نَشرِ الإيمان منوطٌ بِكلِّ تلميذٍ للمسيح علىٰ حسب طاقته . . . وهكذا تُصلِّي الكنيسةُ وتعمل، في آنٍ واحدٍ، لكي يتحوَّلَ ملءُ العالم كُلِّهِ في شعبِ اللهِ، جسدِ الربِّ، هيكلِ **الروح القدس**، ويُؤدِّي في **المسيح**، رأسِ الكلِّ، للآبِ خالقِ الكونِ كلّ إكرامٍ وتمجيد»[١]. وبَيَّنِت الوثيقة بكلِ وضوحٍ أنَّ «أُولىٰ مَهامِّ الأساقفةِ الرئيسيَّة هي الدعوةُ بالإنجيل. ذلك بأَنَّ الأساقفة هم رُوَّادُ الإيمان فَيَجْلِبُون **للمسيح** أتباعًا جُددًا»[٢].

وأمَّا **الدورُ الخَاصُّ**: فهو للمُثَقَّفِين والمُدَرَّبِين الذين تَمَّ إعدادهم بشكلٍ خاصٍّ ومُكَثَّفٍ من أجلِ بناء العلاقات الوديَّة مع المُخالفين، وذلك بواسطة استغلال مؤتمرات ولقاءات حِوارَات الأديان، بعد الإعداد الجيِّد لها، من أجلِ التَّعْرِيفِ بالمسيحيَّةِ ورسالةِ الإنجيلِ الخَلاصِيَّةِ، ولرفع الجَهْلِ عن هذه الفئة، وإماطة اللثام أمامهم عن الحقيقة الكاملة المُتَجَسِّدَة في الكاثوليكيَّة،

---

(١) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٤٠-٩٤١، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٣-٥٤.

(٢) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٤٨، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٦٤.

ليقبلوا بها ويذعنوا لها، بعد أن تَمَّ تبديد الظلام والرد علىٰ الضلال. وهذا الدور هو أفضل طريقة وأنسب وسيلة لإيصال رسالة الإنجيل الخَلاصيِّة إلىٰ أتباع الديانات الأخرىٰ حول العَالَم، عن طريقِ اللقاءِ الأخويِّ معهم وحِوارِهم، ومن ثَمَّ إنارتهم بنورِ الحقِّ الكاملِ والخيرِ التَّام. وهو دورٌ مَنوطٌ برجال الكهنوت علىٰ وجه الخصوص، ولا يُغفِل العلمانيين بطبيعة الحال، والسَّبَب في ذلك يعود إلىٰ قدرتهم الحِوارِيَّة وخَلْفِيَّتِهم العلميَّة، فقد جاء في الوثيقة التي تحمل عنوان: (**التَّنْشِئَةُ الكَهَنُوتِيَّة** Optatam totius)، التأكيد علىٰ أهميَّة إعداد رجال الكهنوت بشكلٍ جيدٍ، وتزويدهم بمعرفة عميقة عن الأديان الأخرىٰ، وذلك من أجلِ أن يتسنىٰ لهم عدة أمورٍ: (١) إشادتهم ببقايا الحقِّ الموجود في تلك الديانات ممَّا يتوافق مع عقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة، (٢) دحض وردِّ الضلال الموجود في تلك الديانات، (٣) تبشيرهم بالإنجيل للوصول بهم إلىٰ الحقيقة الكاملة. وهكذا «يُدرَّجُ الطُلاب إلىٰ تَعرُّفِ الدِّيانات الأُخرىٰ في كُلِّ مَنطقةٍ تَشهَدُ لها انتشارًا واسعًا، فَيَكونُ لهم وقوفٌ أفضلُ علىٰ ما تنطوي عليه، بِتَدبيرٍ إلهيٍّ، من خيرٍ ومن حقٍّ، وتَكونُ لهم طاقةُ الرَّدِّ علىٰ ما عندَها من أضاليل، والقُدرةُ علىٰ نَقلِ نُورِ الحقيقة الكاملِ إلىٰ الذين لم يَصلْ إليهم»[1].

(١) المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٤١٥.

وهكذا، فإنَّ (**تدبير أو خُطَّة الخَلاص**)، كما تَمَّ بيانه في وثائق المَجْمَعِ **الفاتيكانيَّة**، الذي أَعَدَّهُا **يسوع المسيح**، تأتي لجميع أتباع الأديان غير **الكاثوليكيَّة** الذين لا يعرفون حقيقة الإنجيل، من جهةِ جَهْلِهِم بالمسيحيَّة وكنيسة الله الحقيقيَّة المُتَمَثِّلَة في **الكاثوليكيَّة**، من غير ذنبٍ أو قصدٍ منهم، وفي الوقت نفسه فإنَّ ما يتوفر لديهم من صفات الصدق والاجتهاد في معرفة الحقِّ «هي ضروريَّةٌ ومُمَهِّدةٌ لقبولهم الإنجيل»، فإنَّهم سيكونون بذلك مؤهلين لتؤازرهم نعمة الإله؛ كي يسلكوا مسلكَ الحقِّ، فإنَّ «كُلَّ ما فيهم من صلاحٍ وحقٍّ هو في نَظَرِ الكنيسة تمهيدٌ للإنجيل، وموهبةٌ من ذاك الذي يُنيرُ كلَّ إنسانٍ [=**المسيح**] لكي تكون له الحياةُ أخيرًا»[1]. وهذا الاعتقاد الراسخ والمُدَوَّن في وثائق (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) وغيرها، أثار الانتقادات تجاه **الكنيسة الكاثوليكيَّة** بسبب اتضاح أنَّ الغَرضَ الحقيقيَّ من وراء عمليات الحِوار التي يرعاها **الفاتيكان** هو مجرد التأكيد علىٰ الجوانب المشتركة الموجودة في الأديان الأخرىٰ، ومنها الإسلام، التي تتفق مع **المسيحيَّة الكاثوليكيَّة** فقط، فالقَبُول بالحِوارِ هو قَبُولٌ مشروطٌ بما يتلاءم مع التعاليم الكاثوليكيَّة فقط، وإلا فإنَّ الإسلام، -في نظرهم له- وإن كان له أصلٌ كتابيٌّ يهوديٌّ-

---

(١) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ٩٤٠، المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٥٢-٥٣.

مسيحيٌّ، إلا أنَّه ليس سوىٰ هرطقة وانشقاقٍ داخليٍّ في المسيحيَّة نفسها. هذه الصيغة التي يتم بها التعامل مع الإسلام اعتُبِرَت تَتْويجًا لمبدأ التسامح، وتحقيقًا لظاهرة التَّغَيُّر المفصلي والجوهري في تاريخ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** تجاه الإسلام، كما أشار إلىٰ ذلك الأب **جورج قنواتي**، وأصبح هذا هو (**الحد الأعلىٰ**) الذي وصلت إليه بعض الآراء المسيحيَّة الكاثوليكيَّة في موقفها «**المعتدل**» من الإسلام وحقيقته. فجوهر الحوار يَتَمَرْكَز حول اعتبار الكاثوليكيَّة النموذج (Paradigm) الصحيح والوحيد والكامل الذي يُمثل الحق والخير، وما عداه من الأديان غير المسيحيَّة والمذاهب المسيحيَّة الأخرىٰ، فلا تُمثل إلا قطعًا متناثرة من أجزاء بقايا الحقِّ المتفرقة، ودور المحاور الكاثوليكي الفَطِن يَتَرَكَّز علىٰ إظهار المشتركات والتقاطها، ثم التذكير بأصلها التام والكامل، في محاولة لإرجاع الآخرين إليه(١).

الصِّنفُ الثاني: من كان حيًّا ولا يمكن بلوغه، أو مات ولم تبلغه رسالة الإنجيل.

إذن، قد تَبَيَّنَ مما سبق ذِكْرُهُ أنَّ خُطَّة الخَلاصِ وتدابيرها التي تَخُصُّ فئةَ مَن كان حيًّا ويمكن لدعاة الإنجيل بلوغه، تَتَمَثَّل

---

(١) انظر: عادل تيودور خوري، الفاتيكان والحوار الإسلامي المسيحي، ص: ٤٢-٤٥، أليكسي جورافسكي، الممهدات الفكريَّة للحوار الإسلامي المسيحي، ص: ١٧٣ و١٧٦-١٧٧، حسن علي الشاذلي، تقرير حول المؤتمر الإسلامي المسيحي الثاني المنعقد بقرطبة بإسبانيا في ١٩٧٧م، ص: ٢٠٤.

في بذل الجهود الكبيرة من أجلِ تحويله من دينه إلىٰ المسيحية الكاثوليكيَّة عن طريق دعاة الإنجيل، الذين يُحَتِّم عليهم الواجبُ الدِّينيُّ أن يصلوا إلىٰ هؤلاء بأنفسهم أو يوصِلوا رسالة الإنجيل إليهم عَبْرَ الوسائل المختلفة والمتاحة. وعليه فإذا كان الحيُّ الجاهلُ برسالة الإنجيل، يُمكن بلوغه من قِبَلِ دعاة الإنجيل، فهذا يُحَتِّمُ علىٰ الكنيسة ودعاتها أن يبذلوا أقصىٰ طاقتهم من أجلِ إيصال الرسالة الخَلاصيَّة إليه كي يقبل بفداء **يسوع المسيح** له فينال الخَلاص، أو يرفضها فتقوم عليه الحُجَّة ويخسر الخَلاص ويهلك، إذ لا خَلاص له ما لم يقبل **بالمسيح** وكنيسته. لكن ماذا عن الحيِّ الجاهلِ برسالة الإنجيل بلا ذنبٍ منه ولا قصد، والذي لا يُمكن بلوغه من قِبَلِ دعاة الإنجيل لأيِّ سببٍ؟ وماذا أيضًا عن الجاهلِ برسالة الإنجيل، الذي لم تبلغه رسالة الإنجيل ولا طَرَقَ سمعه خِطَابُ دعاتها، ومات علىٰ ذلك الجهل، من غير ذنبٍ منهم ولا تعمد؟

الحالة الأولىٰ: من يتعذَّر عليه معرفة وسماع رسالة الإنجيل لتعذر وصولها إليه.

بالنسبة إلىٰ هذه الحالة التي يتعذَّر فيها علىٰ مثل هذا الإنسان معرفة أو سماع رسالة الإنجيل بسبب تَعَذُّرِ وصولها إليه لأيِّ سببٍ كان، مع صلاحه وتقواه وحُبِّه لله وشغفه بمعرفته وشوقه للإيمان به، لكنَّه جَهِلَ حقيقة **يسوع المسيح** وخَلاصه،

بلا تقصيرٍ منه أو ذنب، فالاتجاه السائد في **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أنَّ مثل هذا الإنسان لا خَلاص له، إذ لا خَلاص من دون معرفة **المسيح** والإيمان به. وفي مقابل الرأي السائد، هناك محاولات واجتهادات فرديَّة داخل **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من أجلِ الإجابة عن هذا السؤال المُحْرِج. وممن أسهم قديمًا في تقديم إجابة عن ذلك، من علماء اللاهوت الكاثوليكيِّ في العصور الوسطىٰ، **توماس الأكويني**، الذي حاول أن يُواجِهَ هذه المعضلة، بتقديم حَلٍّ رآه مُناسبًا وكافيًا وقادرًا علىٰ تجاوز هذه الإشكاليَّة. فبالنسبة إلىٰ **الأكويني** هناك (حقيقتان): **الأولىٰ**: أنَّه في أقاصي العَالَم بين الشعوب والأمم، هناك ولا بُدَّ شخصٌ صالحٌ وطيبٌ، يفعل الخيرات ويتَجَنَّب الشَّر، وفي قلبه حبٌّ وشوقٌ إلىٰ الله، ورغبةٌ عارمةٌ في التسليم له وقَبُولِ رسالته الخَلاصيَّة، وهو في الوقت نفسه يجهل **يسوع المسيح** ورسالته تَمَامًا، بلا ذنبٍ منه ولا تعمد. **الثانية**: أنَّ هذا الشخص، مع كل هذا السياق، لا تَسْقُطُ عنه ضرورة الإيمان من أجل خَلاصه، فتلقي الأسرار المسيحيَّة، والإيمان **بيسوع المسيح**، عند **توماس الأكويني**، مُسَلَّمَتِان ضروريَّتان للخَلاص لا جِدال فيهما، ولا خَلاص خارجهما. وقد حاول **الأكويني** تقديم جوابٍ شافٍ عن هذه المُعضِلَة، التي يبدو فيها أنَّ الجَمْعَ بين هاتين (الحقيقتين) صعبٌ، وذلك عندما أَكَّدَ أنَّ الله لا بُدَّ أنَّ يتدخلِ من أجلِ هذا الشخص، ولن يتركه هكذا هَمَلًا يموت علىٰ الكُفِر والضَّلال، وسوف يقوم بإنقاذه بالإيمان

المسيحي، إمَّا بطريقة سِرِّيَّة غامضة أو بشكلٍ طبيعيٍّ، وهكذا، فإنَّ هذا الشخص الطيب لن يموت بدون الإيمان **بيسوع المسيح**، إما بطريقة طبيعيَّة معروفة: من خلال النَّشاط التبشيري الذي يقوم به دعاة الإنجيل فيتمكن أحدهم من الوصول إليه، أو بطريقة غامضة: بأن تنكشف له الحقيقة ويتجلىٰ له ما يقتضي إيمانه بإنجيل **يسوع المسيح**. يقول **توماس الأكويني**: «من اتبع عقله الطبيعي في البحث عن الخير وتجنب الشر، يجب علينا بالتأكيد إلىٰ أقصىٰ حَدٍّ أن نؤمن بأنَّ الله: إما أن يعلن له بوحي داخليٍّ ما يقتضي عليه تصديقه، أو سيرسل إليه واعظًا [مُنَصِّرًا]»(١).

هذه الخُطوة (التَّقَدُّمِيَّة) التي ذَهَبَ إليها **توماس الأكويني** دفعًا لهذه المعضلة، عَجِزَ (**المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني**) أن يُجاريَها أو يُواكبها بمثل هذه الصَّرَاحة. وعلىٰ أيِّ حالٍ، فإنَّه في العصر الحديث قُدِّمَت عدة محاولات للإجابة عن هذه الإشكاليَّة، أبرزها محاولة المفكر اللاهوتي الكاثوليكي الألماني **كارل رانر اليسوعي**(٢) Karl Rahner (١٩٨٤م)، أبرز دعاة **الشموليَّة** (Inclusivism) في مسألة الخَلاص خارج الكنيسة، إذ يُعتَبَرُ من اللاهوتيين الأكثر انفتاحًا وتجديدًا في باب مفهوم الخَلاص، وكان قد أَلْهَمَ **المَجْمَعَ** ببعض آرائه (الانفتاحيَّة)، إلا أنَّ بعضها

(١) Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 28 & 31.

(٢) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 19.

الآخر لم يحظَ بالدعم والتأييد. لقد ذَهَبَ **كارل رانر** في هذه الإشكاليَّة إلىٰ موقفٍ يُقارب في موقف **توماس الأكويني**، حيث أكَّدَ **رانر** علىٰ وجودِ خُطَّةِ خَلاصٍ لهؤلاء، وفق نظريَّة (**شُموليَّة الخَلاص**) التي أرادها الله، فالله لديه خُطَّة خَلاصٍ لغير المسيحيين، بِطُرقٍ خَفِيَّة يعرفها الله وحده، ولأنَّ هؤلاء الطيبين الصالحين الذين يجهلون رسالة الإنجيل من غير ذنبٍ، يرغبون ويحبون الله، فهم لذلك في الحقيقة يحملون إيمانًا ضمنيًّا **بالمسيح**[١]، والله لن يتركهم دون مُسانَدة، بل سيعمل لهم عَبْرَ الروحِ القُدُسِ عَملًا سريًّا خفيًّا، فَسِرُّ **يسوع المسيح** ليس فقط في البقايا المشتركة الموجودة في الأديان المُعْتَرَف بها من قِبَلِ **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، بل سِرُّهُ أيضًا يمتد من خلالِ عَمَلِهِ الخاصِّ مع أولئك الأفراد بطريقةٍ غامضةٍ تُنير دربهم وتكشف لهم الحقيقة. وهذه الطرق السرِّيَّة والخَفِيَّة إلىٰ الخَلاص -التي لا يعرفها إلا الله- والخَاصَّة بهذه الفئة التي لم تسمع ولم تستطع أن تستجيب إلىٰ رسالة **المسيح** والله، ليست بِكُلِّ تأكيدٍ خارج **المسيح**، فلا خَلاص بدون الإيمان **بالمسيح**، ولهذا فإنَّه من أجلِ خَلاصهم لا بُدَّ من وجودِ نوعٍ من الإيمانِ الخارقِ للطبيعة، يتم القَبُول به في حياتهم بطريقة سِرِّيَّة وغامضة قُبَيل الموت، وبطبيعة الحال فإنَّ مثل هؤلاء الأشخاص لن يعلم بهم إلا الله وحده[٢].

(١) see: John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 61-62 & 182-184.

(٢) see: Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl =

وهكذا تُكتَشَفُ الحقيقة وتتجلّىٰ رسالة الإنجيل، بدون وجودِ أو وصول دعاة المسيحيَّة إلىٰ هؤلاء الأشخاص الطيبين الذين تَعَذَّرَ عليهم معرفة **يسوع المسيح** وإنجيله، وهو عملٌ يقوم به اللهُ بنفسه. لكنَّ هذه الحالة التي يكشف اللهُ بها عن نفسه بنفسه إلىٰ ذلك الرجل الصالح الطيب الذي يجهل رسالة **المسيح** بدون وصول المُبَشِّرِين إليه، التي قَرَّرَ إمكانيتها **توماس الأكويني** وتابعه عليها **كارل رانر**، حالة غامضة وغير معقولة وبعيدة عن التَّصَوُّر عند كثيرين، فهي حالةٌ، كما يقول اللاهوتي الكاثوليكي **جيرالد جلين أوكولينز اليسوعي**، «لا يزال تصورها مُتَعَذِّرًا بالنسبة إلىٰ بعضهم»(١).

الحالة الثانية: من تَعَذَّر عليه معرفة رسالة الإنجيل ومات علىٰ ذلك.

إذا كان الجاهل برسالة الإنجيل من دون قصدٍ منه ولا تعمد، وهو يحب الله ويتشوق له، قد تنكشف له في حياته بطريقةٍ غامضةٍ حقيقة **يسوع المسيح** ورسالته الخَلاصيَّة، فيؤمن به ويقبله، فينال بذلك الخَلاص، فإنَّ هناك من يجهل رسالة الإنجيل، من غير ذنبٍ منهم ولا تعمد، وهو في الصلاح والتقىٰ

= Rahner, p. 93-94, John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 61, 162 & 182-183.

(١) see: Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 55.

مثل الذي قبله، ومع ذلك لا تنكشف له الحقيقة في حياته، ولا يتمكن من معرفتها ليقبل بها، وبذلك ينال الخَلاص، فبالنسبة إلىٰ مثل هذا الشخص ما مصيره وقد فاتته فرصة الخَلاص بلا ذنبٍ منه؟ لقد جَسَّدَت هذه الحالة والجواب عنها إشكالية حقيقيَّة داخل **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، وخصوصًا في العصور الحديثة، حيث إنَّها مَثَّلَت حَرَجًا دينيًّا لاهوتيًّا بين العلماء واللاهوتيين المُتَخَصِّصِين، وحَرَجًا **(إنسانيًّا)** بين عامَّة المسيحيين تجاه النَّاس الآخرين من الأمم والشعوب، لأنَّ هؤلاء الأشخاص ماتوا ولم يبلغهم الإنجيل، ولا سمعوا قط برسالة **يسوع المسيح** وبشرىٰ الخَلاص، لا عن طريق دعاة التبشير، ولا عن طريق الكشف الغامض في حياتهم، وبهذا سيكون خَلاصهم مُتَعَذِّرًا، ومصيرهم إلىٰ جَهَنَّم، مع أنَّهم كانوا في أنفسهم صادقين في حبهم لله، إلىٰ درجة أنَّهم لو تم تقديم رسالة الإنجيل لهم بشكلٍ صحيحٍ لكانوا قد استجابوا لها، لكنَّهم في مدة حياة لم يحصلوا علىٰ هذه الفرصة أبدًا، أو حصلوا عليها بطرقٍ غير مناسبة، ومن ثَمَّ لم تتح لهم فرصة حقيقية وعادلة للاستجابة لها[1]، فهل سيخذلهم الله ويتركهم لمصيرهم المَحْتُوم في جهَنَّم بلا خَلاصٍ يُدركهم، وهو الإله المُنقِذُ والمُخَلِّص وإله المحبة، وهي أَهَمُّ صفاته الإلهيَّة في المسيحيَّة؟

---

(١) see: John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 182.

في محاولة تقديم الجواب عن هذه المسألة، اضطربت آراء وأقوال علماء اللاهوت الكاثوليك، قديمًا وحديثًا، وإن كانت هذه المسألة إنَّما قد أخذت حَيِّز الاهتمام الأكبر لها والنصيب الأوفر في العصر الحديث. ففي هذا العَصر الحديث، اعْتُبِرَ إسْهَامُ **(المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني)** -من بعض اللاهوتيين الكاثوليك وغيرهم- مُهِمَّةً في معالجة هذه المسألة، لكنْ عند تأملها وفَحْصِها نجدها قد وقفت بِخَجَلٍ دون مُستوىٰ تقريرات **توماس الأكويني**، الذي كان مع تَعَصُّبِهِ وتَشَدُّدِهِ قد تجازوها. ففي الوثيقة المَجْمَعِيَّة **الفاتيكانيَّة** التي تحمل عنوان: **(نَشَاطُ الكَنِيسَةِ الإرْسَاليُّ** Ad Gentes) تَمَّ تأكيد أنَّ «قصد الله هذا الشَّامِلَ لأجلِ خَلاصِ الجنس البَشَريِّ لا يتحقق» في أذهان النَّاس ولا بمبادراتهم ولا من خلال طرقهم الخَاصَّة أو بواسطة أديانهم، فمحاولاتهم الصادقة كلها، وإن كانت «بتدبيرٍ خَيِّرٍ من العناية الإلهيَّة، [نستطيع] أن نَعُدَّها توجيهًا إلىٰ الإلهي الحقيقي، أو تَهْيِيئًا للإنجيل»، إلا أنَّها «بحاجةٍ إلىٰ تنويرٍ وتصحيح»، فالخَلاص الحقُّ والدِّينُ الحقُّ هو في «**المسيح يسوع** [الذي] أُرسِلَ إلىٰ العَالمِ وسيطًا حقيقيًّا بين اللهِ والبشر»، والذين «يجهلون الإنجيل من غير خطأٍ منهم»، فإنَّه «بإمكان الله أن يقود[هم] إلىٰ الإيمان الذي يستحيل إرضاء الله بدونه، بطرقٍ يعرِفُها هو»[1]. ولم يُبَيِّن **المَجْمَعُ** ماهيَّة هذه الطرق

(١) انظر: المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، ص: ٤٨٧-٤٨٩ و٤٩٦.

التي لا يعرفها إلا الله والتي بواسطتها يتم الخَلاص، فلم يَتَعَرَّض (**المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني**) لهذه التفاصيل الدقيقة في مسألة الخَلاص، وتَجَنَّب الخوض في تفاصيل مصير هؤلاء الذين يقعون خارج الكنيسة وخارج الإيمان **بالمسيح**، وكما يقول اللاهوتي الكاثوليكي **جيرالد جلين أوكولينز اليسوعي** فإنَّ **فالمَجْمَعَ الفَاتِيكَانيَّ الثَّاني** لم يطرح إشكاليَّة الخَلاص ولا الجواب عنها بشكلٍ صريحٍ، وحاول تجنب الحديث عن (**الوثنيين**)، و(**الزنادقة**)، و(**المنشقين**)[1]. وقد ذَكَرَ **غافين دكوستا** Gavin D'Costa، أستاذ الدراسات اللاهوتيَّة الكاثوليكيَّة بجامعة بريستول، أنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** وإن كانت قد جعلت هناك إمكانية للخَلاص لمن لم يعترف صراحةً بالله في هذه الحياة -بسبب جهله غير المتعمَّد- لأنَّ هذا الاعتراف ليس مطلوبًا أو بالأحرىٰ لم يتم بلوغه بعد بسبب موته جاهلًا، فإنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** كانت صريحة أيضًا بشأن المشكلات التي تركتها دون حَلٍّ ودون توضيح التفاصيل في كيفية هذا الخَلاص وطرقه التي لا يعرفها إلا الله. ويُؤكِّدُ ذلك ما جاء في التوضيح الصادر في الوثيقة التعليميَّة الصادرة عن **مجمع عقيدة الإيمان** بعنوان: (Dominus Iesus)، ففيها أنَّه «فيما يتعلق بالطريقة التي تأتي بها نعمة الله الخلاصية -والتي تُعطىٰ دائمًا عن طريق **المسيح** بالروح

---

(١) see: Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. vii, 1, 33 & 194.

ولها علاقة سرِّيَّة بالكنيسة- للأفراد غير المسيحيين، اقتصر **المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني** علىٰ القول بأنَّ الله يهبها (من خلال طرقٍ معروفةٍ عنده))، ولم يَهتَم **المَجْمَعُ** ببيانها ولا بشرح تفاصيلها، وعِوضًا عن ذلك، ومن أجلِ هذا شَجَّعَ **مجمع عقيدة الإيمان** اللاهوتيين الكاثوليك إلىٰ البحث والسعي من أجلِ فهم خطة الله الخَلاصيَّة، والطرق التي يتم بها إنجاز هذا الخَلاص بشكلٍ أفضل[1]. ولَعَلَّ دافع هذا التَّوقف من قِبَلِ (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) عن الدخول في تفاصيل هذه القضيَّة الشائكة، هو الهرب مما قَدْ تُسَبِّبُهُ من حَرَجٍ من جهتين: حَرَجٌ لاهوتِيٌّ داخل إن **الكنيسة الكاثوليكيَّة** نفسها إنْ هي أظهرت ليونة وتساهُلًا تجاه أصولها ومبادئها العقائديَّة، وحَرَجٌ (إنسانيٌّ) أمام العَالَم غير الكاثوليكي إنْ هي أظهرت تحفظًا وتَشَدُّدًا تجاه خَلاص هؤلاء النَّاس.

وبينما أقرَّ بصراحةٍ ودون مواربة بعض اللاهوتيين الكاثوليك المعاصرين -مُتَمَسِّكِين بالموقف التقليدي **للكنيسة الكاثوليكيَّة**- بأنَّه لا توجد أدوات إلهيَّة للخَلاص خارج الكنيسة المسيحيَّة، وأنَّ هذا جزءٌ من عقيدتهم[2]، إلا أنَّ الإسهام، غير الفَاعِلِ وغير الكافي، من قِبَلِ **المَجْمَعِ** في محاولة الإجابة عن الخَلاص وماهيَّته، دَفَعَت

---

(١) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 162-163.

(٢) see: John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 61-62 & 183-184.

بعض اللاهوتيين الكاثوليك، وغيرهم **كالبروتستانت**، إلىٰ مُناقَشّة هذه المسألة بشكلٍ فرديٍّ، ومحاولة تقديم إجابات أكثر جِدِّيَّة وأقرب مُلامسة لهذه الإشكاليَّة المُقْلِقَة، ومع اتفاق الجميع علىٰ تفوق المسيحيَّة وأنَّها هي طريق الخَلاص الوحيد، فقد تباينت مواقف اللاهوتيين والفلاسفة المسيحيين المعاصرين حول ماهيَّة خُطَّةِ الخَلاصِ الخَاصَّة بغير المسيحيين. فقد نَظَرَ كثيرٌ من هؤلاء اللاهوتيين إلىٰ أنَّه بسبب جهل هذه الفئة من النَّاس غير المُتَعَمَّد برسالة الإنجيل ولنيتهم الصادقة وأعمالهم البارة والخَيِّرَة، أو باعتبار أنَّ هؤلاء لديهم نيَّة ورغبة حقيقيَّة في الوصول إلىٰ **يسوع المسيح** والانتماء إلىٰ كنيسته التي يجهلونها، كما يُقَرِّرُ ذلك بعض كبار اللاهوتيين الكاثوليكيين المؤثرين، لكن لم يَتَيَسَّر لهم وصول دعاة الإنجيل إليهم، وبعضهم قد هلك قبل أن يحصلوا علىٰ المعموديَّة المطلوبة للخَلاص[1]، فإنَّ ذلك يُحَتِّمُ، عند طائفة من اللاهوتيين الكاثوليك، وجودَ خُطَّة خَلاصٍ لهم، لكنَّهم صَرَّحُوا بأنَّهم لا يعرفون ماهيَّة التدبير الذي وضعه الله لغير المسيحيين في خطته تلك للخلاص للبشرية، وفي مُقابِلهم فريقٌ آخر -وفق نظريَّة **(شُموليَّة الخَلاص)**- ذَهَبَ إلىٰ أنَّ الله لديه بالفعل خُطَّة خَلاصٍ لغير المسيحيين، بِطُرقٍ خَفِيَّة يعرفها الله: إما بوصفهم يحملون إيمانًا ضمنيًّا بالمسيح بطريق يعلمها الله أو من خلال تلقيهم فرصة

(١) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 20&22.

أثناء الموت أو بعده، فإنَّ الله لن يتركهم دون مُسانَدة[١]. ويُمكن إلىٰ حدٍّ كبيرٍ فهم بعض هذه الطرق الغامِضَة والخَفِيَّة -التي لا يعرفها إلا الله- من خلالِ ما ذَهَبَ إليه بعضُ المفكرين اللاهوتيين الكاثوليك الأكثر انفتاحًا وتجديدًا في باب مفهوم الخَلاص، حيث أَكَّدوا علىٰ أنَّ إمكان الخَلاص خارج الكنيسة لهذه الفئة سيكون عَبرَ إيمانٍ خارقٍ للطبيعة، يتم القَبُول به عند الموت ساعة الاحتضار أو بعده[٢].

وإذا كان بعض علماء اللاهوت يلتزمون الصمت غالبًا حِيَالَ ماهيَّة ذلك الإيمان الخارق للطبيعة الذي ستحصل عليه هذه الفئة من النَّاس عند الموت، ولا يوضحون كيف يتم قَبُولهم لهذا الإيمان الخارق[٣]، إلا أنَّ بعض كبار اللاهوتيين، مثل العَالِم

---

(١) see: John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 61-62 & 182-184.

(٢) see: Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, p. 93-94, John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 61, 162 & 182-183.

(٣) الغموض والاختلاف في تفسير وبيان هذه الحلول الخَلاصيَّة المُقَدَّمة فرعٌ عن الاختلاف في مسألة أخرىٰ، وهي مسألة جواز استمرار التكليف والاختيار بعد الموت. يقول **غافين دكوستا** إنَّ كثيرًا من اللاهوتين «لا يزالون يفشلون في شرح كيف يصير بشكلٍ واضحٍ هؤلاء الأشخاص مُدْرِكِين للثالوث الأقدس وهم عندما يموتون غير مُدْرِكِين للثالوث الأقدس، ولا يتم السماح لهم باتخاذ أيِّ قراراتٍ حرة بعد الموت». فمعظم **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، وخصوصًا التيار **الأوغسطيني**، يرىٰ أنَّه لا حُريَّة ولا اختيار للإنسان بعد الموت، بخلاف بعض المفكرين اللاهوتيين الكاثوليك **كجوزيف أوغسطين دينويا**، والبروتستانت =

اللاهوتي الكاثوليكي المعاصر البارز **جوزيف أوغسطين دينويا** Joseph Augustine DiNoia، وهو عضو **الرهبانية الدومينيكيَّة** ورئيس أساقفة وكان أمينًا مساعدًا **لِمَجْمَعِ عقيدة الإيمان**، قدموا توضيحًا مُهِمًّا وصريحًا يشرح ماهيَّة حدوث ذلك الخَلاص الذي لم يَتِم في الحياة الدنيا، وبما أنَّ الخَلاص يتطلب إيمانًا شخصيًا وواعيًا **بالمسيح**، ولأنَّ هذا غير ممكنٍ لمئاتِ الملايين في هذه الحياة الدنيا، فإنَّ الخَلاص سيكون ممكنًا لهذه الفئة من النَّاس أثناء لحظات الموت أو بعده من خلالِ حضور **المسيح** شخصيًّا لهم[١]، «وهكذا، فإنَّ المسلم المتدين الذي يعيش، دعنا نقول،

= **كجورج ليندبيك**، من أنصار (**لاهوت الأديان**) الذين ذهبوا إلىٰ ضرورة وجود فرصة سماع مباشرة بعد الموت، لعله بسببها يتحقق التوافق الصحيح مع الإنجيل والعلاقة الصحيحة مع الله الحقيقي، أو يُخيَّر المرء بالمسيح فيقبله أو يرفضه. انظر:

Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 163164.

(١) في حديثي وحِواري الشفوي المباشر، لأكثر من مُنَاسَبَةٍ، مع عدة رجالِ دينٍ ولاهوتيين كاثوليك وغيرهم، ذكروا أنَّ من طرق حصول هذا الإيمان الخارق حضور **يسوع المسيح** شخصيًّا عند الاحتضار أمام الشخص المحتضر، إذا كان إنسانًا بارًّا وطيبًا وفي الوقت نفسه يجهل رسالة الإنجيل الخَلاصيَّة دون قصدٍ منه ولا ذنب، فحينئذٍ يكشف **يسوع المسيح** له نفسه وسِرَّهُ وسِرَّ رسالته الخَلاصيَّة، فيؤمن ذلك الشخص المحتضر بالمسيحيَّة ويقبل بافتداء **المسيح** له. وبعض من تحدثتُ إليهم وحاورتهم استشهد علىٰ قوله بحديثٍ مَنْسُوبٍ إلىٰ النبي ﷺ، وببعض الآثار التي وردت عن بعض العلماء ليثبت كلامه، مع أنَّ الحديث، علىٰ فرضِ صحته، وجميع الآثار الأخرىٰ، علىٰ خلاف مراده. فقد =

في **باكستان**، والمعزول عن الإنجيلِ بواسطة عقيدةٍ إسلاميَّةٍ قويَّةٍ، سيقابل **المسيح** بعد أو في لحظة الموت، وهكذا ستكون لديه فرصة كي ينال الخَلاص»[1].

وعلىٰ أيِّ حَالٍ، فمهما وقع من خِلافٍ بين بين علماء **(لاهوت الأديان)** الكاثوليك والقائلين بـ **(بشموليَّة الخَلاص)**، بشأن هذه المسألة، ما بين التوقف فيها أو تقديم بعض التفاصيل والتفسيرات التي تَشْرَح طرق الله الخفيَّة والغامِضَة في خَلاص غير المسيحيين، فإنَّهم جميعًا يتوافقون علىٰ أنَّ الخَلاص هو في **المسيح** وحده، وأنَّ غير المسيحي قد يتلقىٰ هذا الخَلاص، من

= أورد الإمام **القرطبي** تحت باب: **(ما جاء أنَّ الشيطان يحضر الميت عند موته وجلساؤه في الدنيا وما يخاف من سوء الخاتمة)**، جملة من الحكايات حول ذلك، ومنها قوله: «حضرتُ أخا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد القرطبي بقرطبة، وقد احتُضر، فقيل له: لا إله إلا الله، فكان يقول: لا، لا، فلما أفاق، ذكرنا له ذلك، فقال: أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي، يقول أحدهما: مت يهوديًا فإنَّه خير الأديان، ويقول الآخر: مت نصرانيًا فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا، لا، إليَّ تقولان هذا؟!». انظر: القرطبي، التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة، ص: ١٨٥ و١٨٧. ويقول **تقي الدين ابن تيميَّة**: «أما عرض الأديان علىٰ العبد وقت الموت، فليس هو أمرًا عامًا لكلِ أحدٍ، ولا هو أيضًا منتفيًا عن كلِّ أحدٍ، بل من النَّاس من تعرض عليه الأديان قبل موته؛ ومنهم من لا تعرض عليه، وقد وقع ذلك لأقوام، وهذا كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا». ابن تيميَّة، مجموع الفتاوىٰ، الجزء: ٤، ص٢٥٥.

(١) see: John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 183.

خلال الارتباط **بالمسيح**، إما ضمنيًا داخل هذه الحياة بوصفه مسيحيًّا مجهولًا أو يحمل إيمانًا ضمنيًّا **بالمسيح** كما يقوله **كارل رانر**، أو يتلقىٰ الخَلاص صراحةً خارج الحياة عند الاحتضار أو بعد الموت علىٰ يد **يسوع المسيح** نفسه، كما يقول الكاثوليكي **جوزيف أوغسطين دينويا** والبروتستانتي **جورج ليندبيك** George Lindbeck[١]. ويَذْكُرُ الأب **جوزيف كميل جبارة** أنَّ **المَجْمَعَ** يُقَرِّرُ «أنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** ليست الطريق الوحيد الفريد لخلاصِ الجنسِ البشريِّ، إذ ثمَّةَ طُرقٌ دينيَّةٌ أخرىٰ يستخدمها الله لتحقيق خَلاص غير المسيحيين»[٢]. ولا يعني هذا التَّقْرِيرُ أنَّ طريق **الكنيسة الكاثوليكيَّة** لا يُمَثِّلُ إلا طريقًا للحقِّ ضمن طُرُقٍ عدة مُختلفة ومُتَعَدِّدَة، فهذا الأمر غير واردٍ بتاتًا، وإنَّما المقصود أنَّ للحقِّ طريقًا مُباشرًا وتقليديًّا معروفًا، وهو المُتَمَثِّلُ في **الكنيسة الكاثوليكيَّة** وحدها، وطريقًا غير مباشرٍ، وهو طريقٌ سِرِّيٌّ غامض من تدبير الله، سَبَقَ الحديث عنه. ولهذا يَلْفِتُ الأب **جوزيف** الانتباه إلىٰ نُقْطَةٍ مُهِمَّةٍ، تقوم علىٰ تفريقٍ دقيقٍ مُهِمٍّ اتخذه **المَجْمَعُ** في مُعَالَجَةِ هذه المسألة، وهي أنَّ مفهوم الخلاصِ «**الكوبرنيكيِّ**» الجديد هذا إنَّما يقوم بشكلٍ جوهريٍّ علىٰ التمييز «بوضوحٍ بين **خَلاص الفرد** غير المسيحي، كاليهوديِّ والمسلم والبوذيِّ إلخ»،

---

(١) see: John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 184.

(٢) الأب جوزيف كميل جبارة، علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيَّة: آفاقٌ وحدودٌ، (واقعُ الحِوارِ الإسلامي المسيحي)، ص: ٣٨.

وبين كون تلك الأديان التي ينتمون إليها، أي اليهوديَّة والإسلام والبوذيَّة وغيرها، تحمل «قيمة الوساطة الخلاصيَّة» بنفسها[١]. فتلك الأديان، في نظر **الكاثوليكيَّة**، ليست صالحة ولا تُعْتَبَرُ طُرُقًا للخلاص عند الله ألبتة، فتلك خَاصِّيَّةٌ مُمَيِّزَةٌ **للمسيحيَّة الكاثوليكيَّة** لا غير، وإنَّما بعضُ أفرادِ تلك الديانات والمذاهب قد يَحْصُلُ علىٰ الخلاص، من خلال طُرُقٍ مُعَيَّنَة، وهذه الطرق يقول عنها الأب **جوزيف كميل جبارة**: «إنَّ غير المسيحيِّ يَخْلُصُ بِطُرُقٍ يعرفها الله وحده ولا ضير إنْ بَقِيَ البشر بمنأىٰ عن معرفتها»[٢]. فخَلاص مثل هؤلاء الذين يجهلون رسالة الإنجيل **والمسيح** بلا ذنبٍ منهم إنَّما يَتَمَركَز حول أنَّ إيمانهم بالله وشغفهم بالبحث عنه، يُشير إلىٰ رغبتهم وشوقهم الضمني وغير الواعي إلىٰ الله الحقيقيِّ **يسوع المسيح** وكنيسته، وبهذه الرغبة والشوق قد ينالون كأفراد إمكانيَّة الخَلاص بطرقٍ غامضةٍ وسرِّيَّة لا يعرفها إلا الله، في الحياة أو بعدها، لا أنَّهم سيحصلون علىٰ الخَلاص من خلال أديانهم البشريَّة، فهي ليست وسائل خَلاص[٣]. يقول **بيتر فان**:

(١) انظر: الأب جوزيف كميل جبارة، علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيَّة: آفاقٌ وحدودٌ، (واقعُ الحِوارِ الإسلامي المسيحي)، ص: ٣٨.

(٢) الأب جوزيف كميل جبارة، علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيَّة: آفاقٌ وحدودٌ، (واقعُ الحِوارِ الإسلامي المسيحي)، ص: ٣٩.

(٣) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 22&163, John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 184.

«حاليًا، تُعَلِّم الكنيسة **الكاثوليكيَّة** أنَّ المسيحيَّة، أو علىٰ وجه التحديد **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، هي الطريق الوحيد للخَلاص، وأنَّ المؤمنين الآخرين -إذا تم خلاصهم علىٰ أحسن الأحوال، فهم مرتبطون بطريقةٍ ما غامضة بالكنيسة، وخَلاصهم هذا يأتي بواسطة **المسيح**»[1]. وهكذا ظلت وثائق **المَجْمَع** معيارًا **للكنيسة الكاثوليكية**، بحيث يتم الالتزام بمضمونها وتعاليمها ولا يخرج عنها ما جاء بعدها، ومن ذلك المحافظة علىٰ الموقف الأساس في أنَّ كل خَلاصٍ إنَّما يأتي من خلال **المسيح** فقط، بشكلٍ مُباشرٍ ومُعْلَن، أو من خلال طرقٍ غير مفهومة تمامًا للبشريَّة[2].

---

(١) Peter Phan, Interreligious and Ecumenical Dialogue at Vatican II: Some Rethinking Required, p. 16.

(٢) see: Decıan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, p. 245.

المطلب الثامن
تقييم موقف الكنيسة الكاثوليكيَّة واللاهوتيين الكاثوليك من الخَلاص

المُتأمِّل في موقف **الكنيسة الكاثوليكيَّة** من خلال (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) تجاه قضيَّة الخَلاص، يلحظ أنَّ الكنيسة لم تُجاوز مواقفها القديمة التقليديَّة حيال هذه القضيَّة، فهي لا تزال تَتَمَسَّك بقوةٍ وثباتٍ بأصولها ومبادئها القديمة المُؤثِّرَة جوهريًّا في قضيَّة الخَلاص، والدَّارس لشروط الخَلاص التي وضعتها **الكنيسة الكاثوليكيَّة** يَجد أنَّ حقيقة المقصود هو تَحَوُّل المخالفين من مذاهبهم وأديانهم إلىٰ **المسيحيَّة الكاثوليكيَّة**، ولهذا يُمكن أن يُفهم بجلاءٍ لم اختار (**المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني**) الصَّمت تجاه الدخول في تفاصيل (**خُطَّة الخَلاص**). ولهذا ذَهَبَ جُمْلَةٌ من الباحثين إلىٰ تأكيد أنَّ (**المَجْمَعَ الفَاتِيكَانيَّ الثَّاني**) لم يلغ القاعدة الكَنَسِيَّة الرَّاسِخَة المُوَجَّهَة ضد المذاهب والأديان الأخرىٰ المُخَالِفَة،

وهي: (**لا خَلاص خارج الكنيسة**)، وإن حاول تخفيفها وتهذيبها من خلال الغموض والتناقض، وتقديم تفسيراتٍ معقدة لِطُرُقٍ يقولون إنَّه لا يعلمها إلا الله وحده[١].

والتَّمَسُّك بالأصول والمبادئ التقليديَّة **للكنيسة الكاثوليكيَّة** لم يقتصر علىٰ وثائق ومُقَرَّرات (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، بل تعَدَّاها إلىٰ تيار ما يُعرَف **بالشموليَّة** (Inclusivism) في مسألة الخَلاص خارج الكنيسة، من خلال أبرز دعاته وهو المفكر اللاهوتي الكاثوليكي **كارل رانر اليسوعي**[٢]، الذي تقدمت الإشارة إلىٰ اعتباره الأكثر انفتاحًا وتجديدًا في باب مفهوم الخَلاص، وأحد أشهر المؤثرين في اللاهوت الكاثوليكي في القرن العشرين، وكان مُستشارًا لـ (**المجمع الفاتيكاني الثاني**) **فأَثَّرَت** آراؤه في المَجْمَع[٣]، وكان أكثر انفتاحًا من **الفاتيكان** ومؤسَّسَاته تجاه حدود قبول الخَلاص لغير الكاثوليك، حتىٰ وُصِفَ من قِبَلِ بعض الكاثوليك المحافظين بـ (**المُهَرطِق فاسد**

---

(١) انظر: دعاء محمود فينو، الحوار المسيحي الإسلامي قراءة في كتاب: التصورات اللاهوتية المسيحية عن المسلمين منذ مجلس الفاتيكان الثاني، ص:١٦٦-١٦٨ و١٧٠، جانفرانكو رافازي وآخرين، درب الحوار، ص:٩-١٠.

(٢) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 19.

(٣) see: Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, p. 1,4, 128-129.

السمعة (notorious heretic)[1]، وذلك بحسب نظريَّته التي صاغها في مصطلح: **المسيحي المجهول** (anonymous Christian)[2]، وهو الشخص الذي سينال الخَلاص حتىٰ ولو لم يكن مسيحيًّا، ومع ذلك فإنَّه قَرَّرَ أنَّ الخَلاص لن يتم إلا من خلال **المسيح**[3].

---

(١) see: Peter Dimond, Outside the Catholic Church There Is Absolutely No Salvation, p. 145.

(٢) مما يستحق الدراسة في باب الأديان المقارنة، موضوع: الموقف من المخالف في الدين والحكم عليه، ومصيره في الدنيا والآخرة، بين الإسلام وبين الكاثوليكية أو الأرثوذكسيَّة، من خلال مقارنة بين مفاهيم (أهل الفترة، العذر بالجهل، من لم تبلغه الدعوة) في الإسلام، وبين مصطلحات مثل: (**المسيحي المجهول**= anonymous Christian) في الكاثوليكية، المصطلح الذي صاغه **كارل رانر** من أجل أن يستخدمه المسيحيون للإشارة إلىٰ إرادة الله الخَلاصيَّة الشاملة خارج حدود المسيحية، والتي يمكن لغير المسيحيين أن يعيشوها بطريقة مسيحيَّة خاصَّة، أو (**المسيح الكوني**) عند الأرثوذكس، ومدىٰ أَثر مفاهيم الإسلام عن المخالف -بحكم أسبقيته في ذلك- في تغيير موقف المسيحيَّة من المخالفين لها. انظر للفائدة حول نظرية (**المسيح الكوني**) عند الأرثوذكس، وعن **كارل رانر** و(**المسيحي المجهول**): جورج مسّوح، جورج خضر والحوار الإسلامي-المسيحي: مقاربةٌ لاهوتيةٌ، ص: ٢١٨. وكذلك:
Karl Rahner, Practice of Faith¤ A Handbook of Contemporary Spirituality, p. 5 , 11 & 265, Karen Kilby, Karl Rahner: Theology and philosophy, p. 115-126, William Dych, Karl Rahner, p. 62 & 86, Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, p. xiii, 5354&244, Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 21, Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 55-56.

(٣) انظر: جانفِرانكو رافازي وآخرين، درب الحوار، ص: ١٠، نانسي أحمد =

فبالنسبة إلىٰ هذا (**المسيحي المجهول**)، كما يُقَرِّرُ **كارل رانر**، فهو إنسان قد لامسته نعمة الله والحقيقة بفضل **المسيح**، وهو بهذا يستحق اسم (**المسيحي المجهول**)، والعمل التنصيري وإسهام المُبَشِّرِين من خلال إعلان الإنجيل، ينقل هذا الشخص من صفة (**المسيحي المجهول**) إلىٰ الشخص (**المسيحي الصريح**) الذي يعرف بشكلٍ صريحٍ وعَلَنيٍّ الإيمان المسيحي، ذلك الإيمان الذي كان بالفعل موجودًا في أعماقه بالنعمة، وكان يعيش من قبلُ مسيحيَّةً مجهولةً لم تُدْرِكْ نَفْسَها تمامًا إلا حين وصول دعاة الإنجيل إليه، ولهذا أكَّدَ **رانر** علىٰ ضرورة تبليغ الإنجيل لهؤلاء، ومَرْجِعُ ذلك أنَّ فرصة الخَلاص للمسيحيِّ الحقيقيِّ أكبر من فرصة (**المسيحي المجهول**)[١]. ويُؤكِّد **ستيفن دوفي** Stephen Duffy، أستاذ اللاهوت والأنثروبولوجيا اللاهوتيَّة، أنَّ إحدىٰ مبادئ **رانر** الرئيسة في نظريته عن الخَلاصِ الشموليِّ أنَّه «لا يمكن الحصول علىٰ الخَلاص دون الرجوع إلىٰ الله من خلال **المسيح**، لأنَّ أصل وتاريخ وتحقيق الخَلاص مُتَمَحْوِرٌ حول الله ومسيحيٌّ بطبيعته»[٢]. ومع المسافة الكبيرة التي حاول **كارل رانر اليسوعي** قطعها من أجلِ توسيع حدود نطاق الخَلاص خارج **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، إلا

= عويس، منهج التطور العقدي في دراسة الأديان المقارنة، ص: ٧٢-٧٤.

(١) see: Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, p. 55-56.

(٢) Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, p. 53.

أنَّه لم يسلم من الغموض والتناقض والارتباك، وفي النهاية العودة والارتكاز علىٰ محوريَّة **المسيح** في الخَلاص بالمفهوم المسيحيِّ، **فالمسيح** وكنيسته سبب الخَلاص عنده دائمًا، وفي كل مكان هما الوسيط الرئيس للخَلاص، حيث إنَّ **المسيح** تاريخيًا يُمَثِّل وسيط الخَلاص من خلال الكنيسة[١].

لقد كان **كارل رانر** يحاول أن يجعل نظريته عن (**المسيحي المجهول**) قادرة علىٰ الحفاظ علىٰ تعليمين أساسيين معًا: إرادة الله الشاملة للخَلاص، وفي الوقت نفسه التأكيد المسيحي لدور **يسوع المسيح** كوسيط لذلك الخَلاص[٢]. يقول **غافين دكوستا**: «يؤكد **رانر** أنَّ المسيحيَّة هي الدِّينُ الحقيقيُّ الوحيدُ، بينما يعتقد في نفس الوقت بأنَّ الأديان الأخرىٰ قد تكون حالة خَلاصيَّة مرحَليَّة»، أي مُجَرد جسر أو بداية تمهيديَّة إلىٰ المسيحيَّة، ومن ثَمَّ فلا بد من القيام بمهمة التبشير إلىٰ الديانة المسيحيَّة من خلال الحِوار المُثْمِر؛ لأنَّ المسيحيَّة -كما يؤمن هو- أفضل تعبيرٍ وأكمل إعلانٍ عن النعمة والخَلاص، وكان **رانر** واضحًا دائمًا في

(١) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 20.

(٢) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 19, Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, p. 244.

تأكيده علىٰ أنَّ الأديان الأخرىٰ مجرد حالة مرحليَّة ليست إلا، وأنَّ اعتقاد خلاف ذلك يعني قَبُول ظهور وحيٍ آخر إلىٰ جانب ثالوث **المسيح**[(١)].

ومع محاولة **كارل رانر** التلفيقيَّة تلك إلا أنَّه لم يسلم من الانتقادات المُوَجَّهة إليه من الطرفين المتصارعين: من التَّعَدُّدِيين (pluralists) ومن اللاهوتيين الكاثوليك. فقد تَمَّ انتقاده من قِبَل القائلين بالتعدديَّة بسبب أنَّه مُتَمَرْكِزٌ بشكلٍ كبيرٍ علىٰ **المسيح**، ولم يسلم كذلك من انتقادات رجال الدِّين واللاهوت الكاثوليك، الذين انتقدوا تقريراته الفضفاضة رغبة منهم في حماية خُصوصيَّة المسيحيَّة وتميزها، حيث رأوا فيما قَدَّمَهُ **كارل رانر** تَهْدِيدًا لتميز الديانة المسيحيَّة عن العالميَّة (universalism)، والتي من شأنها أن تمحو خصوصيتها، فوق أنَّها نظرية ضعيفة وقائمة علىٰ أسس مُنهارة ولا تُمَثِّل حقيقة الإيمان والاعتقاد الكاثوليكي[(٢)]. تقول أستاذة علم اللاهوت **جينين هيل فليتشر** Jeannine Hill Fletcher «إنَّ الردود [من قِبَلِ اللاهوتيين الكاثوليك] تُظْهِرُ صُعوبة ملاءمة

(١) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 21&22.

(٢) see: Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, p. 244, Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 22.

ومناسبة حقيقة التنوع الدِّيني داخل الإطار التقليد المسيحي، كما يحاول **رانر** أن يفعل عندما يعمل ضمن حدود العقيدة المسيحيَّة»[١].

إنَّ المُتَأمِّلَ في تقريرات **كارل رانر** يُصَادِفُها -في حقيقتها ومحصلتها النهائيَّة- لا تختلف جوهريًّا عن موقف **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أو عن قرارات (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، التي ترىٰ أنَّ في الأديان الأخرىٰ مشاريع خَلاصٍ تمهيديَّةٍ وتحضيريَّةٍ لرسالة الإنجيل من خِلالِ ما يُوجد فيها من بقايا حقٍّ وخيرٍ، لا يتم إكمالها إلا باعتناق الكاثوليكيَّة، وذلك من خلال التبشير أو الحِوار، ومن ثَمَّ فلم تُقَدِّم **الكنيسة الكاثوليكيَّة** أو أولئك اللاهوتيون الكاثوليك الذين يدورون في فلكها، مثل **كارل رانر**، جديدًا جوهريًّا في هذا الباب، يُمكن وصفه بأنَّه ثورةٌ أو انفصالٌ تاريخيٌّ مِحْوريٌّ عن تاريخها وتقاليدها القديمة.

ويزداد الأمر وضوحًا وتجليًّا وعمقًا، من خلال معرفة موقف **الفاتيكان** و **الكنيسة الكاثوليكيَّة** الحاسم والصارم تجاه أي موقفٍ يصدر من داخل المنتسبين إلىٰ الإيمان الكاثوليكي، ويُتَّهَم صاحبه بِتَذويب الحقائق الثابتة في المسيحيَّة **الكاثوليكيَّة**، التي تقوم علىٰ محوريَّة الخَلاص من خلال **المسيح** وحده، وهكذا هو

---

(١) Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, p. 244.

منهج **الكنيسة الكاثوليكيَّة** الرَّاسِخ تجاه من يُخالفها وتراه يُمَثِّل تهديدًا علىٰ سلامة أصولها ومبادئها الرئيسة. ومن ذلك مثلًا، موقف **الفاتيكان** الصَّارم من لاهوت (**التَّعَدُّدِيَّة الدِّينيَّة** Religious Pluralism)، أو (**التَّنَوُّع الدِّينيِّ** Religious Diversity)، الذي يجعل خَلاص **يسوع المسيح** طريقًا ضمن طُرقٍ عدة وليس هو الطريق الوحيد والحَصْريَّ، حيث جاء الموقف الرَّسْميُّ شديَدًا بشكلٍ واضح من هذه المبادئ المخالفة للعقيدة الكاثوليكيَّة التي أخذت في التَّسَرُّب داخل الدائرة الكاثوليكيَّة. ففي الوثيقة **الفاتيكانيَّة** التي تحمل عنوان: (**تعليم مجمع عقيدة الإيمان** Donum veritatis)، بتاريخ ٢٤ أيار لعام ١٩٩٠م، جاءت إدانة: «التعدديَّة اللاهوتيَّة التي تصل أحيانًا إلىٰ النسبيَّة المسيئة إلىٰ سلامة الإيمان. فتكون تدخلات السلطة صادرة عن مذهبٍ لاهوتيٍّ من بين مذاهب أخرىٰ، بينما لا سبيل لأيِّ مذهبٍ لاهوتيٍّ خَاصٍّ أن يدعي السيطرة الشاملة. وهكذا، يُولَد نوعٌ من سلطةٍ تعليميَّةٍ موازيةٍ من اللاهوتيين، تُعَارِضُ السُّلطة الأصيلة وتنافسها»[١].

وتطبيقًا عمليًّا لهذا التنظير العقائدي تجاه (**التَّعَدُّدِيَّة الدِّينيَّة**)، أدان **الفاتيكان** جملةً من اللاهوتيين الكاثوليك المنفتحين علىٰ الآخر، ومنهم: القس الكاثوليكي اليسوعي وعالم اللاهوتي البلجيكي **جاك دوبويه** Jacques Dupuis (٢٠٠٤م)، الذي سار علىٰ

(١) هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثوليكِيَّة في وَثَائِقِهَا، الجزء: ٢، ص: ١١٧٢.

خطوات **كارل رانر** في محاولة توسيع دائرة الخَلاص خارج **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، لكنَّه تجاوزه فقام بإزالة اعتبار أنَّ الأديان الأخرىٰ مُجَرَّد حالة (**مَرْحَلِيَّة** provisionality) في مسألة الخَلاص التي قَرَّرَها **رانر**، فتَمَّت إدانته بشدة من قبل **الفاتيكان**[١]. وتسبب **الفاتيكان**، كما يقول القسُّ الكاثوليكيُّ **بيتر فان**، في إثارة حالةٍ من الخوف والقلقِ بين المهتمين بحِوارَاتِ الأديان، لقيامه بإدانة كتابات **جاك دوبويه (المعتدلة)** المُتَعَلِّقَة بالتسامح والحوار بين الأديان[٢]. حيث إنَّه في سنة ٢٠٠١م وجه **الفاتيكان** له تحذيرًا شديدًا، علىٰ خلفيَّة آرائه حول (**التَّعَدُّدِيَّة الدِّينيَّة**)، ومدىٰ قدرة **المسيح** علىٰ الخَلاص، وقام رئيس (**مَجْمَعِ عَقِيدَةِ الإيمانِ**) في **الفاتيكان** -وهو ما كان يُعْرَف سابقًا باسم: (**المَكْتَبُ المُقَدَّسُ للتفتيشِ**)- وقتها الكاردينال **جوزيف راتزنغر**، والذي صار لاحقًا **البابا بندكت السادس عشر**، بإصدار بيانٍ في أربع صفحاتٍ يحمل عـنـوان: (Notification regarding the book Toward a Christian Theology of Religious Pluralism)[٣]، يشجب فيه **جاك دوبويه**،

(١) see: Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, p. 22.

(٢) see: Peter Phan, Interreligious and Ecumenical Dialogue at Vatican II: Some Rethinking Required, p. 15.

(٣) للوقوف علىٰ نص البيان كاملًا علىٰ موقع **الفاتيكان** الرسمي، انظر: www.vatican.va/roman_curia/congregations/cfaith/documents/rc_con_cfaith_-doc_20010124_dupuis_en.html

وكتابه الذي يحمل عنوان: (**نحو لاهوتٍ مسيحي للتَّعَدُّدِيَّة الدِّينيَّة**)، مُتَّهِمًا أفكار كتابه بأنَّها تُزَعْزِع العقائد، ويُعيد البيان ويؤكد تعاليم (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، المُتَمَثِّلَة في أنَّ الأديان الأخرىٰ قد تحمل بعض الخير والحقيقة، لكنَّ أصل ذلك وكماله فقط في كنيسة **المسيح** الحقيقيَّة وحدها فقط. وقد ظَهَرَ من هذا البيانِ **الفاتيكانيِّ** ما يُسيء إلىٰ الديانات الأخرىٰ، حيث نَصَّ البيان علىٰ أنَّه: «يجب أن يُؤمن إيمانًا قاطعًا بأنَّ الكنيسة هي علامة ووسيلة خَلاص جميع النَّاس. وأنَّ اعتبار أديان العَالَم المختلفة بمثابة طرقِ خَلاصٍ مكملة للكنيسة، يتعارض مع الإيمان **الكاثوليكي**. وبالاستناد إلىٰ العقيدة **الكاثوليكيَّة**، فإنَّ أتباع الديانات الأخرىٰ مُوجَّهُون إلىٰ الكنيسة، وجميعهم مدعوون ليصبحوا جزءًا منها . . . وإنَّ الاعتقاد بأنَّ هذه الأديان، علىٰ هذا النحو [=أي مع تضمنها بعض الخيرِ والحقِّ المُشْتَرَكِ الموجود في الكاثوليكيَّة]، هي طرقٌ للخَلاص، لا أساس له في اللاهوت الكاثوليكي، وأيضًا بسبب أنَّ الأديان الأخرىٰ تحتوي علىٰ نواقصَ وقصورٍ وأخطاءٍ تَمَسُّ الحقائق الجوهريَّة عن الله، والإنسان، والعالم»(١). ولهذا، قام **الفاتيكانُ** بإرغامِ القسِّ **جاك دوبويه** علىٰ التوقيع علىٰ وضع هذا البيان ضمن كتابه في الطبعات المستقبليَّة(٢)، وقام **البابا يوحنَّا بولس الثاني** بتأكيد هذا البيان

(١) see:www.vatican.va/roman_curia/congregations/cfaith/documents/rc_con_cfaith_doc_20010124_dupuis_en.html

(٢) see: www.christianitytoday.com/ct/2001/februaryweb_only/55.0c.html

الذي كَتَبَ نصه الكاردينال **جوزيف راتزنغر**، في المقابلة التي أُجريت معه في ١٩ يناير ٢٠٠١م، ووضع **الفاتيكان** تأكيد البابا وموافقته علىٰ البيان مرفقة مع نَصِّ البيان[١].

وكذلك حَصَلَ الأمرُ نَفْسُهُ للعَالِم والفيلسوف اللاهوتي المسيحي **جون هيك** John Hick (٢٠١٢م)، من طائفة **المشيخيَّة البروتستانتيَّة**. فحين تَقَدَّمَ باقتراحٍ يَتَمَثَّل في أن يكون الخَلاص من الله، وليس من **المسيح** بحدِّ ذاته، باعتبار كل دين بحقيقته هو طريقٌ للخَلاص، فتم انتقاده بقوةٍ وشُجِبَ مقترحه من قِبَلِ المسيحيَّة **الكاثوليكيَّة**، لأنَّه يجعل المسيحيَّة نسبيَّة، ويُفْقِد **المسيح** محوريَّته، ويُصَحِّح القول بِتَعَدُّدِيَّة الحقائق والأديان، ومن ثم تَفْقِدُ المسيحيَّة هويتها. يقول عالم اللاهوت الكاثوليكي الكاردينال المعاصر **جانفرِانكو رافازي** Gianfranco Ravasi في إصدارٍ حِوارِيٍّ حديث: «لهذا تمَّ التوصل سنة ٢٠٠٠م إلىٰ الإعلان الفاتيكاني (**الربّ يسوع**)، الذي تعيد فيه الكنيسة **الكاثوليكيَّة** التأكيد علىٰ وحدانيَّة الخَلاص بالمسيح، علىٰ الأقل بطريقة ضمنيَّة»[٢]. ونَظَرَ اللاهوتيون الكاثوليك إلىٰ مبدأ مركزيَّة التَّعدُّديَّة (Pluralist Theocentrism)، علىٰ أنَّها تحولٌ خَطِيرٌ بمثابة **ثورة كوبرنيكية** جديدة، لأنَّها ادعاءٌ يتجاوز مركزيَّة **المسيح**، فبدلًا عن

---

(١) see:www.vatican.va/roman_curia/congregations/cfaith/documents/rc_con_cfaith_doc_20010124_dupuis_en.html

(٢) جانفرِانكو رافازي وآخرين، درب الحوار، ص: ١١.

أن يُنظر إلىٰ **المسيح** علىٰ أنَّه مركز عَالَم الأديان، صار يُنظر إلىٰ الأديان ومنها المسيحيَّة، علىٰ أنَّها كلها تدور حول الحقيقة السماوية المطلقة (=الله)(١).

كذلك، لم تَتَقَبَّل **الكنيسة الكاثوليكيَّة** و**الفاتيكان** المساس بعقائدها الإيمانيَّة وأُسُسِها السُّلْطَويَّة، موقفَ العَالِم اللاهوتي ورجل الدين الكاثوليكي **هانس كونج** Hans Kung، الذي كان المستشار الرسمي للبابا **يوحنَّا الثالث والعشرين** بمجلس الكنيسة الأعلىٰ ومدير معهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحيَّة، حين رفضَ الاعتراف بعصمة البابا عن الخطأ، وقَرَّرَ أنه لا يختلف عن سائر البشر، فقام **الفاتيكان** بسحب الاعتراف بصلاحيَّة تمثيله الكنيسة، وأوجب حرمانه من الإشراف علىٰ الطلاب الذين يُعَدُّون ليكونوا قساوسة كاثوليك، بحجة عدم أهليَّته، وقام **الفاتيكان** بإلغاء كرسيه العلمي الذي كانت تُنفِقُ عليه **الكنيسة الكاثوليكيَّة**(٢).

---

(١) see: John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, p. 162.

(٢) انظر: السيد محمد الشاهد، المسيحيِّة والإسلام: من الجِوارِ إلىٰ الحِوارِ، ص: ٣١.

الخاتمة

وهكذا، فَقَد تَبَيَّنَ أنَّ **الكنيسة الكاثوليكيَّة** منذ (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، وحتىٰ وقتنا الحاضر، لا تزالُ باقية علىٰ تمسكها بأصولها ومبادئها، ثابتةً علىٰ تقاليدها القديمة بشكلٍ جوهريٍّ، ولهذا فإنَّها ترفض المساس بتلك الأصول، وتُعاقِبُ كُلَّ من تُسَوِّلُ له نفسُهُ أن يخرج عن تعاليمها المُقَدَّسة، ومن ذلك ما يتعلق بموضوع (**الخَلاص خارج الكنيسة**).

ومن خلالِ هذا البحث اتضحت عدة أمور مُتَّصِلَة بموضوع: ماهيَّة وحدود (**الخَلاص خارج الكنيسة**)، ويُمكن أن نُلَخِّصَ ذلك، كما يأتي:

أولًا: كل المذاهب والأديان التي في العَالَم ليست طرقًا للخَلاص ولا تصلح بتاتًا لذلك، وليس ثَمَّة إلا طريقٌ واحدٌ حَصْريٌّ لا يُوجد غيره، وهو **المسيح** وكنيسته **الكاثوليكيَّة**.

ثانيًا: كُلُّ من يعلم **بالمسيح**، ويعرف رسالة الإنجيل، ثُمَّ لا يثبت فيها إن كان من داخلها، أو لا يدخل فيها إن كان من خارجها، فلا خَلاص له ألبتة.

ثالثًا: الذين لا يعلمون **بالمسيح**، ويجهلون حقيقة رسالة الإنجيل، بلا ذنبٍ أو تعمدٍ منهم، مع حُبِّهم لله وشوقهم لمعرفته، فهؤلاء اكتفىٰ (**المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني**) بالقول: إنَّ لهم من الله (**خُطَّةَ خَلاصٍ**) لا يعلمها إلا الله، مُرَكِّزًا اهتمامه علىٰ أهميَّة تبليغ رسالة الإنجيل لكافة شعوب وأمم العَالَم، كي لا يبقىٰ من يُعذَرُ بالجهل. إلا أنَّ بعض اللاهوتيين الكاثوليك تقدموا خطوة أكثر من **المَجْمَعِ**، وقالوا بأنَّ هؤلاء ينقسمون إلىٰ فئتين: الفئة الأولىٰ، من يُمكن لدعاة الإنجيل بلوغهم، فإنَّه يجب عليهم حينئذٍ إيصال رسالة الإنجيل إليهم، حتىٰ إذا ما عرفوها آمنوا به، فَحَصَلَ له بذلك الخَلاص، وهم بذلك يتفقون مع **المَجْمَعِ**. الفئة الثانية، من لا يُمكن بلوغه، إما لصعوبة ذلك أو لموت، وهؤلاء يعمل الله معهم بطريقة غامضةٍ وسرِّيَّةٍ، ففي الحالة الأولىٰ يكشف الله لهذا الشخص أثناء حياته الحقيقة (=رسالة الإنجيل) فيؤمن بها فيحصل له الخَلاص، وفي الحالة الثانية يظهر **يسوع المسيح** بنفسه لهذا الشخص عند احتضاره أو بعد موته، فيكشف له الحقيقة، فيؤمن بها وبذلك يخلص. وهذا ما اختار (**المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني**) أن يسكت عنه ولا يخوض فيه.

رابعًا: إنَّ ما حَصَلَ قُبَيل (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**) وأثناءه وبعده، وما طُرِحَ فيه من مُناقشاتٍ، خُصوصًا، ما يتعلق بقضيَّة (**الخَلاص خارج الكنيسة**)، لم يأت ابتداءً من لدن **الكنيسة الكاثوليكيَّة**، بل جاء بسبب ضغوطٍ داخليَّة وخارجيَّة، ومع ذلك فإن **المَجْمَعَ** لم يُنتج تغييرًا جوهريًّا يمس أصول ومبادئ الخَلاص.

خامسًا: موقف **الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكيَّة** الصَّارم، قبل وبعد (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، تجاه مسألة (**التَّعَدُّدِيَّة الدِّينيَّة**)، وموقفه الشديد تجاه اللاهوتين الكاثوليك الذين رأوا ضرورة وأفضليَّة الخَلاص بواسطة **يسوع المسيح**، لكنَّهم لم يجعلوه حَصْريًّا، بل طريقًا ضمن طُرقٍ أخرىٰ، يُؤكِّدُ تمسك **الكنيسة الكاثوليكيَّة** بأصولها ومبادئها التقليديَّة عمومًا، وفيما يتعلقُ بقضيَّة (**الخَلاص خارج الكنيسة**) خصوصًا.

سادسًا: لا يُوجد هناك تَغَيُّرٌ حقيقيٌّ وجوهريٌّ في موقف **الكنيسة الكاثوليكيَّة** الجديد المُتَمَثِّل في (**المَجْمَعِ الفَاتِيكَانيِّ الثَّاني**)، فأصول ومبادئ موضوع (**الخَلاص**) التقليديَّة لم يتم المساس بها أو الإخلال بجوهرها، بل بقيت كما هي، ولم يُضف إلا بعض العبارات التَّلطيفيَّة المُمَوَّهة، التي تُحَاول أن تُظهِرَ أنَّ **الكنيسةَ الكاثوليكيَّةَ** قامت بالفعل بتحقيق تقدمٍ حقيقيٍّ في هذا المجال، والحقيقة والواقع يقولان غير ذلك.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربيَّة (الكتب):

١- تقي الدين ابن تيميَّة، مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة، جمع: عبد الرحمن ابن قاسم الحنبلي، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩١م).

٢- جانفرِانكو رافازي وآخرون، درب الحوار، ترجمة: إلياس الترك، (إيطاليا: Messaggero Padova، ٢٠١٧م).

٣- جمال الوكيل، تطور إستراتيجيَّة الحروب الصليبيَّة في القرن الرابع عشر الميلادي: مشروع حملة مارينو سانودو-دراسة تاريخيَّة، (القاهرة: دار العالم العربي، ٢٠١٧م).

٤- جوستافو جوتييرث الدومنيكاني، لاهوت التحرير: التاريخ والسياسة والخلاص، ترجمة: جان رزق الله والأب جون جبرائيل الدومنيكاني، (القاهرة: دار الأكويني دير الدومنيكان، ٢٠١٦م).

٥- السيد محمد الشاهد، المسيحيِّة والإسلام: من الجِوارِ إلىٰ الحِوارِ، (القاهرة: دار الأمين، ٢٠٠١م).

٦- القس صموئيل حبيب والقس منيس عبد النور وآخرون، دَائِرَةُ المَعَارِف الكِتَابِيَّة، (القاهرة: دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م).

٧- الكتاب المُقَدَّس، (نسخة الرهبانيَّة اليسوعيَّة)، (بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤).

٨- المَجْمَعُ الفَاتِيكَانيُّ الثَّاني: دَسَاتير، قَرَارَات، بَيَانات، إشراف: الأب حَنَّا الفَاخوري، (بيروت: منشورات المكتبة البُولِسيَّة، الطبعة الثالثة ٢٠١٢م).

٩- مجموعة مؤلفين، واقعُ الحِوارِ الإسلامي المسيحي: بعد مرور ٤٠ عامًا علىٰ صدور بيان المجمع الفاتيكاني الثاني، (بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٧م).

١٠- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٥هـ).

١١- نانسي أحمد عويس، منهج التطور العقدي في دراسة الأديان المقارنة: كارين أرمسترونج نموذجًا: عرض ونقد في ميزان الإسلام، (الكويت: دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١م).

١٢- نور الدين خليل، قاموس الأديان الكبرىٰ الثلاثة: اليهودية والمسيحيَّة والإسلام، مراجعة: محمود آدم، (الإسكندريَّة: مؤسسة حورس الدوليَّة، ٢٠٠٨م).

١٣- هاينريش دنتسنغر وبيتر هونرمان، الكَنِيسَة الكَاثولِيكِيَّة في وَثَائِقِهَا، ترجمة: المطران يُوحَنَّا منصور والأب حنَّا الفَاخُوري، تحقيق الترجمة: الأب عادل تيودور خُوري، (بيروت: منشورات المكتبة البُولِسيَّة، ٢٠٠١م)

ثانيًا: الأبحاث والمقالات في المجلات والدوريات العربيَّة:

١٤- أليكسي جورافسكي، الممهدات الفكريَّة للحوار الإسلامي المسيحي، (بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، مجلة الاجتهاد، مجلد: ٨، عدد: ٣١٣٢، ١٩٩٦م).

١٥- جورج مسّوح، جورج خضر والحوار الإسلامي-المسيحي: مقاربةٌ لاهوتيةٌ، (بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، مجلة الاجتهاد، مجلد: ٨، عدد: ٣١٣٢، ١٩٩٦م).

١٦- حسن علي الشاذلي، تقرير حول المؤتمر الإسلامي المسيحي الثاني المنعقد بقرطبة بإسبانيا في ١٩٧٧م، (الكويت: جامعة الكويت، مجلة الحقوق والشريعة، مجلد: ١، عدد: ٢، ١٩٧٧م).

١٧- دعاء محمود فينو، الحوار المسيحي الإسلامي قراءة في كتاب: التصورات اللاهوتية المسيحية عن المسلمين منذ مجلس الفاتيكان الثاني، تأليف محمود إيدن، (الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلاميَّة المعرفة)، سنة: ١١، عدد: ٤٤، ٢٠٠٦م).

١٨- عادل تيودور خوري، الفاتيكان والحوار الإسلامي المسيحي، (بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، مجلة الاجتهاد، مجلد: ٨، عدد: ٣١٣٢، ١٩٩٦م).

ثالثًا: المصادر والمراجع الإنجليزيَّة (الكتب):

1- Bruce Demares, The Cross and Salvation: The Doctrine of Salvation, (United States of America: Crossway Books, 1997).

2- Catechism of the Catholic Church, revised in accordance with the official Latin text promulgated b Pope John Paul II, (Vatican: Libreria Editrice Vaticana, Second Edition, 2000).

3- Declan Marmion and Mary Hines, The Cambridge Companion to Karl Rahner, (Cambridge: Cambridge University Press, 2005).

4- Elochukwu Uzukwu, Mission for Diversity: Exploring Christian Mission in the Contemporary World, (Germany: LIT Verlag , 2015).

5- F. L. Cross, E. A. Livingstone, The Oxford Dictionary of the Christian Church, (Oxford: Oxford University Press, 1997).

6- Francis Sullivan, Salvation Outside the Church? Tracing the History of the Catholic Response, (United States: Wipf and Stock Publishers, 2022).

7- Gavin D'Costa, Christianity and World Religions: Disputed Questions in the Theology of Religions, (USA: Wiley-Blackwel, 2009).

8- Gerald O'Collins, The Second Vatican Council on Other Religions, (UK: Oxford University Press, 2013).

9- John E. Thiel, Senses of Tradition: Continuity and Development in Catholic Faith, (Oxford: Oxford University Press, 2000).

10- John Hick, Dialogues in the Philosophy of Religion, (New York: Palgrave Publishers Ltd, 2001).

11- Karen Kilby, Karl Rahner: Theology and philosophy, (New York: Routledge, 2004).

12- Karl Rahner, Practice of Faith: A Handbook of Contemporary Spirituality, (New York: The Crossroad Publishing Company, 1986).

13- Kocku von Stuckrad, The Brill Dictionary of Religion, (Leiden: Brill, 2006).

14- Michael Joseph Schuck, That They Be One: The Social Teaching of the Papal Encyclicals, 1740-1989, (The United States: Georgetown University Press, 1991).

15- Michael Lacey and Francis Oakley, The Crisis of Authority in Catholic Modernity, (Oxford: Oxford University Press, 2011).

16- Peter Dimond, Outside the Catholic Church There Is Absolutely No Salvation, (Most Holy Family Monastery, 2006).

17- William Dych, Karl Rahner, (London: Continuum, 2000).

رابعًا: الأبحاث والمقالات في المجلات أو الدوريات أو الصحف الإنجليزيَّة:

1- Peter Phan, Interreligious and Ecumenical Dialogue at Vatican II: Some Rethinking Required, (Conversations on Jesuit Higher Education: Vol. 42, Article 5, 2012)

2- The New York Times International, Wednesday, January 23,1991, p. 4.

خامسًا: مواقع إنترنت:

1- www.vatican.va

2- www.christianitytoday.com